



فوزي البشتي

حلم الثورة
في الشعر الليبي الحديث

الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع

محسن يوسف الأريشي

حُلمُ الثورة

كتاب الشعب

فوزي البشتي

حلم الثورة

في الشعر الليبي الحديث

منشورات

الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع

العدد 5 مايو 1980

الطبعة الأولى
1980 م
الطبعة الثانية
1981 م
1391 و.ر

كــانت ابــراج النفط   اعـلى الهامـات الليبية
كـانت فـاكهــة النفط   آخــر فـاكهــة ليبيــة
كــانت اسمـاء النفط   كـل الاسمـاء الليبيـة

والملك المقعد المتكوم فوق غبار العرش المستورد، والوزراء المشدودون باوتار الرشوة، والعلماء الصم البكم البـررة والسحرة والقواد المكتثون على الأسطول السادس.
والسفراء والضباط التجار الوكلاء الخبراء كانوا ثقبا تتسلل منه الجرذان الأميركية والسلع الأمريكية.

O O O O

في فجر الفاتح من سبتمبر   في العام التاسع والستين

صارت هامات الشعب اعلى الابـراج الليبيـة
صارت فاكهة الشعب اول فـاكهـة ليـبيـة
صارت اسماء الشعب أحلى الأسماء الليبيـة
في فجر الفاتح من سبتمبر في العام التاسع والستين
صار الشعب .... صار الشعب ....

فـتـعـالـوا نـنـشـد في الـقـمـة
وتعالوا ننثر فوق عباءة فارسنا العائد
ازهار التاريخ الحاقد .. الكاسح اسوار الظلمة

سميـح القاسم
قصيدته «عودة عمر المختار»

الشاعر والثورة

مدخل

ما هو شغل الانسان الشاغل، وهمه الدائم، ودأبه منذ اولى مراحل تطوره والى الأبد؟..

انه بالاضافة الى آلاف الاجوبة الممكنة- ان يتطور، وان يطور العالم من حالة الى اخرى اكثر ملاءمة، مستشرفا ابعاد المستقبل... متطلعا الى المثل الأعلى، معتبرا نفسه طرفا سيدا، سائدا في تقدير هذه الملاءمة من خلال نزعة المحافظة على البقاء، البقاء حرا وفق مشيئة الله، الذي خلق الناس جميعا احرارا متساوين.. ومن خلال النزوع الى البقاء، وفق اعلى مستوى تبلغه الأخيلة والتصورات الانسانية، الفاضلة التي غرسها الله في النفوس او توصلت اليها نبوءات الفلاسفة وتأملاتهم او حققتها نتائج العلم الحديث، الذي يحقق للانسان

كل يوم انتصارا جديدا يحقق من خلاله ارادة الخالق، بان الانسان هو افضل المخلوقات وسيدها.

لكن جوهر القضية ، قضية التطور، يظل في جميع الحالات - وعبر كل العصور - كامنا في رغبة الانسان وارادته، وسعيه الدائم للانطلاق نحو تحقيق المثل الأعلى واصراره عليه، بحكم مواجهته المستمرة والعتيدة لكل ما من شأنه ان يقلب الموازين . . عبر اقتراف القوى التي تصنع العلاقات الظالمة في المجتمع للعديد من الجرائم التي تتنافى مع كرامة الانسان وحقه في ان يكون حرا وسيدا . . ان مواجهة القوى الظالمة في المجتمع امر حتمي لأنها تضع الانسان أمام خيارين لا ثالث لهما: اما ان يتطور ويحقق انسانيته وحريته، أو أن يقعد متخلفا مدحورا . .

واذا كان الشاعر هو أكثر الناس قدرة على شف المستقبل وكشفه والنفاد من خلال قتامة الواقع ومآسيه، الى أكثر صور هذا الواقع اشراقا ووضاءة، فان احساسه الدائم بالمأساة، والدق المتواصل على ابواب الأسوار المغلقة، التي تحجب نور الشمس، وتخنق أنفاس الحياة، وتقتل كل امكانيات الصمود والرفض التي تدعو الى هدم اسوار البشاعة الانسانية، بكل ما

تتضمنه من قهر للانسان، وامتلاك لحريته وكتم لانفاسه، بهذا المفهوم تتحدد رسالة الشاعر وتتضح، وبدونها يصبح مجرد مهرج لا يلتفت اليه أحد، فالشعر في النهاية هو أغنية الجموع، وأحلام الجماهير، وبهجة الفقراء في رحلات كدهم اليومي الشاق، وليس مجرد ثرثرة مع النفس خالية من كل مضمون اجتماعي او تأثير جماهيري، ومن هنا نستطيع ان نفهم السبب الذي من أجله عاشت قصائد الجماهير، اعني تلك القصائد التي انبثقت من هموم الناس وقضاياهم اليومية المعاشة، بينما تلاشت واندثرت وانمحت من وجدان الجموع كل المنظومات التي كتبت او القيت على البسط الأعجمية الفاخرة. وسط ردهات القصور، أمام الملوك والسلاطين، والطغاة، من اجل تمجيد طغيانهم والاشادة بمظالمهم ونزواتهم الشخصية..

فالابداع الأدبي لا بد ان ينبثق من صفوف الجماهير وان يكون له مغزى اجتماعي لأن الكاتب هو بالدرجة الأولى، نتاج وسطه الاجتماعي، الذي لقنه دروس الحياة الأولى، فالشاعر او الكاتب ليس نبتا شيطانيا يولد في غابة عذراء، بل هو فرد في مجتمع.. وهذا المجتمع يعيش تناقضات ومنازعات اقتصادية وسياسية تتحكم فيه وتسيطر عليه وتحاول توجيهه، وفي غمرة

هذا الاتجاه يمضي الكاتب والشاعر، كما يمضي المجتمع نفسه، وصحيح ان الأفراد تختلف درجة وطريقة تأثرهم بالظروف الاجتماعية العامة، ولكنهم يتأثرون على كل حال، وعلى هذا فان كل فكرة يقدمها الكاتب والشاعر لها اصلها وجذورها. حين ندقق ونتعمق، ونتعايش معه من خلال فهم الوسط الاجتماعي الذي كان يعيش فيه أو من خلال طفولته ونشأته وخبراته...

ولعلنا نستطيع ان نفخر بان شعرنا وشعراءنا في هذا الجزء من الوطن العربي الكبير كانوا في معظمهم يناضلون في صفوف الجماهير ويجسدون احلامها ومطامحها، حتى ان القوات الايطالية الغاشمة، وهي تتوجه بقواتها وبوارجها ومرتزقتها وكبريائها الأجوف الى شواطئنا لكي تحتلها وتسيطر عليها، كانت تدرك تماما كما تقول لنا وقائع التاريخ أنها لن تواجه شعبا، يتصدى لها بالسلاح وحده، وانما كانت تدرك تماما وعلى نحو واضح ان صراعها مع القوى الوطنية كما يحدثنا الأستاذ خليفة التليسي في مقالة نشرها بمجلة الرواد سنة 1969، ثم ضمنها كتابه (رحلة عبر الكلمات) ملاحظا ان ايطاليا كانت تدرك بالرغم من كبريائها الأجوف، ان رحلتها ستطول وتمتد،

وانها لن تنتهي عند حدود الانتصارات الحربية، بل ستواجه مقاومة ضارية تقوم على الاعتزاز بالمثل والتقاليد التي تحفل بها الحضارة الاسلامية، وان استمرار الصلة بهذه القيم من شأنه ان يذكي في النفوس شعلة الصمود والمقاومة والنضال المستمر، وكانت اولى العناصر في هذه الخطة تقوم على عزل المواطن عن كافة اسباب الثقافة والتعليم، ولقد أقام الاستعمار الايطالي بليبيا اثنتين وثلاثين سنة، خرج بعدها دون ان يخلق اية قاعدة **ثقافية يتمثل فيها الاحتضان الصحيح لثقافته بحيث تكوِّن تياراً معيناً في مجرى الحركة الفكرية في البلاد.**

وبالرغم من كل ذلك فقد استطاع الشعر الشعبي أن يقوم بدوره النضالي على اكمل وجه، فحرمان الشعب من التعليم، ومحاولة تجهيله ومنعه من استيعاب لغته الفصحى، لم يمكن ايطاليا من اجتثاث وجدانه الوطني وطمس لهجته الوطنية المحلية، وخنق انفاسه بالصورة التي كانوا يعتقدون انه سيظل بعدها مجرد شعب اخرس لا يستطيع ان يقاوم الطغيان بالكلمة كما قاومها مقاومة مذهلة بايمانه وسلاحه وتضحياته.

(فمنذ ان نزل الأسطول الايطالي بالشواطىء الليبية في الخامس من اكتوبر سنة 1911 حتى اصدر السفاح (فادوليو)

منشوره الشهير بعد اعدام الشهيد البطل (عمر المختار) وانتهت بذلك حركة المقاومة الوطنية سنة 1931 م، منذ ذلك الحين ترك الشعب كلمته للسيف وقصائده للمعارك لقد صاحب الشعر الشعبي جميع هذه المعارك وظل هو اللون الذي يسيطر على الموقف ويعبر عن هموم المواطن بصدق وحرارة ليحمل معاناته، ونظرته للحياة، ويعبر عن جهاده، وصدق بلائه، لقد صاحبه هذا الأدب، في معاركه، في سجونه، في معتقلاته، في تشرده، في مهارجه، وفي هذا الشعر، تنعكس الصورة الصحيحة لهذه الفترة بكل ما رافقها من كفاح ونضال واستبسال، ولعل قصائد (ام الخير) شاعرة معتقل البريقة، خير مثال على ذلك، بل لعل القصيدة المعروفة (ما بي مرض غير دار العقيلة) ابرز دليل على تصدي هذا الشعب للمستعمر بالشعر والكلمة، مثلما تصدى له بالمقاومة المستمرة التي اذهلت العالم.

هذا هو الشعر، ذلك هو الشاعر، فارس يقف امام اللهب الذي يحرق كواحد من الذين يخلقون الكلمات المقاتلة، يبشر بالمستقبل، ويدين الطغيان ويرفض القهر، ويقاوم الغاصب ويكاد اليأس يقتله عندما يرى الظلم أمامه ولا يرى أحدا يثور عليه، فلا يملك الا ان يعطي لكلماته وهج الثورة، ولذة الحلم

بها، وبحتمية انتصارها، ان اول خطوة نخطوها ونحن نمارس عملية كشف العمل الابداعي، ومحاولة الاقتراب من مضامينه وتفهمها- تستوي في ذلك القصة والقصيدة والرواية واللوحة التشكيلية التي تخلقها فرشاة الرسام، هذه الخطوة لا بد ان تتمثل اول ما تتمثل في الكشف عما شهده الشاعر من قصور واعوجاج في الواقع الحيوي بالقدر الذي يتنافى مع كرامة الانسان، وكيف قاده احساسه بهذه القصور والاعوجاج، وعدم عدالة العلاقات الانسانية داخل المجتمع، الى تفقد الحل الذي يرضيه كصديق دائم للحقيقة والحرية والعدل.

يقول بدر شاكر السياب[1] : (لو اردت ان اتمثل الشعر الحديث، لما وجدت اقرب الى صورته من الصورة التي انطبعت في ذهني للقديس يوحنا وقد افترست عينيه رؤ ياه وهو يبصر الخطايا السبع تطبق على العالم كأنها اخطبوط هائل).

فالشاعر في تصور (السياب) اذن هو ذلك الانسان الخلاق الذي يكشف اسرار النتوءات والتشوهات القميئة التي احدثتها القوى الظالمة محاولة الانتقاص من كمال الابداع الالهي

(1) من حديث نشر للسياب بمجلة شعر صيف 1963

للانسانية والانسان، انه ايضا ذلك المغامر الذي ينفذ ببصره الثاقب الى عمق العلاقات الانسانية، غير العادلة، والتي لا تكشف عن نفسها الا لمن يحمل صخرة المشقة وقسوة العذاب في سبيل اصلاحها وتقويمها، والحلم بذلك اليوم الذي تصبح فيه الحياة على اكمل صورة، وتلك مشقة لايستطيعها، ولا يصبر عليها سوى اولئك النفر من الفنانين العظام الذين يضعون امام اعينهم حقيقة واحدة هي ان الكلمة سلاح يمكن ان يخوض به الانسان المعركة مثلما يخوضها بالرصاص، لانه يملك القدرة على ان يكون محاربا، يتصدى للمألوف والعادي ويحاول ان يراهما رؤ يا خاصة، عبر معاركه المستمرة، مشيدا بهذه الطريقة حلمه الخاص، بواقع افضل. وبهذا تصبح رسالة الشاعر في الحياة، رسالة ايجابية بناءة، تشير الى النقائص بقصد تجاوزها، سواء جاءت هذه الاشارة بطريق مباشر يشوبه الانفعال الحاد، او بطريق غير مباشر يغلب عليه التوازن بين الفكر والشعور وربما انتابته خلال ذلك لحظات من التوجس الدائم والخوف المستمر، وقد يصل الى مرحلة الحزن او اليأس. . لكن هذه الكلمات كلها، قد لاتكون خاضعة للتعريفات القاموسية، انها مجرد احساس بالفجيعةوالألم كما

يحدده الشاعر صلاح عبد الصبور في كتابه حياتي في الشعر عندما يقول: (انني لست شاعرا حزينا، ولكنني شاعر متألم، ذلك ان الكون لا يعجبني، ولأني احمل بين جوانحي كما قال (شيللي) شهوة لاصلاح العالم، وقد اعترف لنا شيللي انه استقى هذا التعبير النبيل الجميل من أحد الفلاسفة الاسكتلنديين، ذلك ان شهوة اصلاح العالم هي القوة الدافعة في حياة الفيلسوف والشاعر والقادة العظام، لأن كلا منهم يرى النقص فلا يحاول ان يخدع نفسه عنه بل يجهد في ان يرى وسيلة لاصلاحه، وما اكثر ما كان يموج به واقعنا السياسي والاجتماعي قبل اندلاع ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، من اعوجاج يتمثل في تجمع كل قوى القهر والطغيان والعمالة والسيطرة الأجنبية وتردي الاوضاع بشكل يملأ أعماق المواطن فجيعة ورعبا واحساسا بفقدان كل ما يميز الانسان الحر. فما بالك بالشاعر الذي يستشعر كل هذه البشاعة بوضوح تام ويحاول ان يعبر عنها وينبه اليها ويدعو الى تحطيمها والثورة عليها، ولقد ساعد على ذلك تلك المفاهيم النقدية والمناهج الاجتماعية التي حاولت ان تربط الشعر بالمجتمع، وتوثق صلة

الشاعر بالجماهير، بحيث يكون جدارا صلبا وصلدا ضد كل قوى القهر والطغيان.

ومن هنا تحاول هذه الدراسة ان تبحث عن اولئك الشعراء الذين كانوا يحلمون بالثورة، الثورة على العفونة، عفونة المستنقع الذي يتجمع وسط انقاض العهد الملكي المنهار، ونحن لن نبحث عن أولئك الذين كانوا يهمسون همسا لا تسمعه الآذان، ولا نكاد نستبين معناه، إنما نحاول ان نقدم لهذا الجيل - جيل الفاتح العظيم - أولئك الرجال الذين بشروا بالثورة وحلموا بها، وأدركوا من خلال مواقفهم ورؤاهم وتطلعاتهم إلى المستقبل؟ إنها آتية، دون أن تستطيع قوى القمع والاستعمار أن تؤجل قيامها لحظة واحدة، لقد كانت الثورة هاجسهم الوحيد طيلة حياتهم، وعبر كل ابداعاتهم، ولست أدعي انني استطيع في هذه الدراسة القصيرة ان اقدم كل الشعراء، وكل القصائد لأن ذلك يحتاج الى إفاضة قد لا تحتملها هذه الدراسة القصيرة، لكني أود ان اختار مجموعة من النماذج الشعرية التي عاشت في أذهان الجماهير تجسد حتمية الثورة وتحلم بها، وتتعذب في سبيلها. وكانت باستمرار ملاحقة ومضطهدة من قبل قوى القمع والنظام البوليسي الذي يكاد

يكتم الأنفاس خلال فترة الحكم الملكي المنهار، قد يكون العدد قليلا وقد نظلم بقية الشعراء الذين اسهموا جميعا كل حسب قدراته في تجسيد حلم الثورة، والتبشير بها، لكن هذه المجموعة المحددة هي التي تتقدم عبر هذه الصفحات، كنماذج .. تتقدم لتقول للأجيال التي ولدت بعد الفاتح العظيم، وعاشت انتصاراته وهو يقود الثورة الصناعية والزراعية، ويسلم السلطة للشعب، ويحقق عصر الجماهير، ومقولة شركاء لا أجراء والبيت لساكنه، ويصبح الشعب لأول مرة في تاريخ البشرية شعباً سيداً، يمتلك الثروة والسلطة والسلاح.

هؤلاء هم الذين يتقدمون ليقولوا كلماتهم التي كانت حبيسة، كانت مجرد حلم من الاحلام يقولونها لاجيال الفاتح العظيم، كما قال الشاعر المرحوم (علي الرقيعي) الذي انتظر الثورة طويلا وحلم بها وعاشت في كل قصائده هاجسا دائما لا يخبو ولا ينطفىء، لكن الله اختاره الى جواره قبل ان يشهد انتفاضة هذا الشعب الأبي الذي غنى لثورته طويلا وترقب ميلادها في كل لحظة، لكن قصائده عاشت تجسد حلم الثورة، وتبارك فجر يوم الاثنين الفاتح من سبتمبر العظيم، الذي عاش

في اعماقه طويلا . . لقد كان علي الرقيعي يقول لنا في قصائده دائما مخاطبا أرض وطنه[1] :

لا تمهلي فسيبزغ الصبح القريب

عريان حيث تظل في وضح النهار

أشعارنا المتوهجات

بيضاء تحتضن الخناجر والقلوب

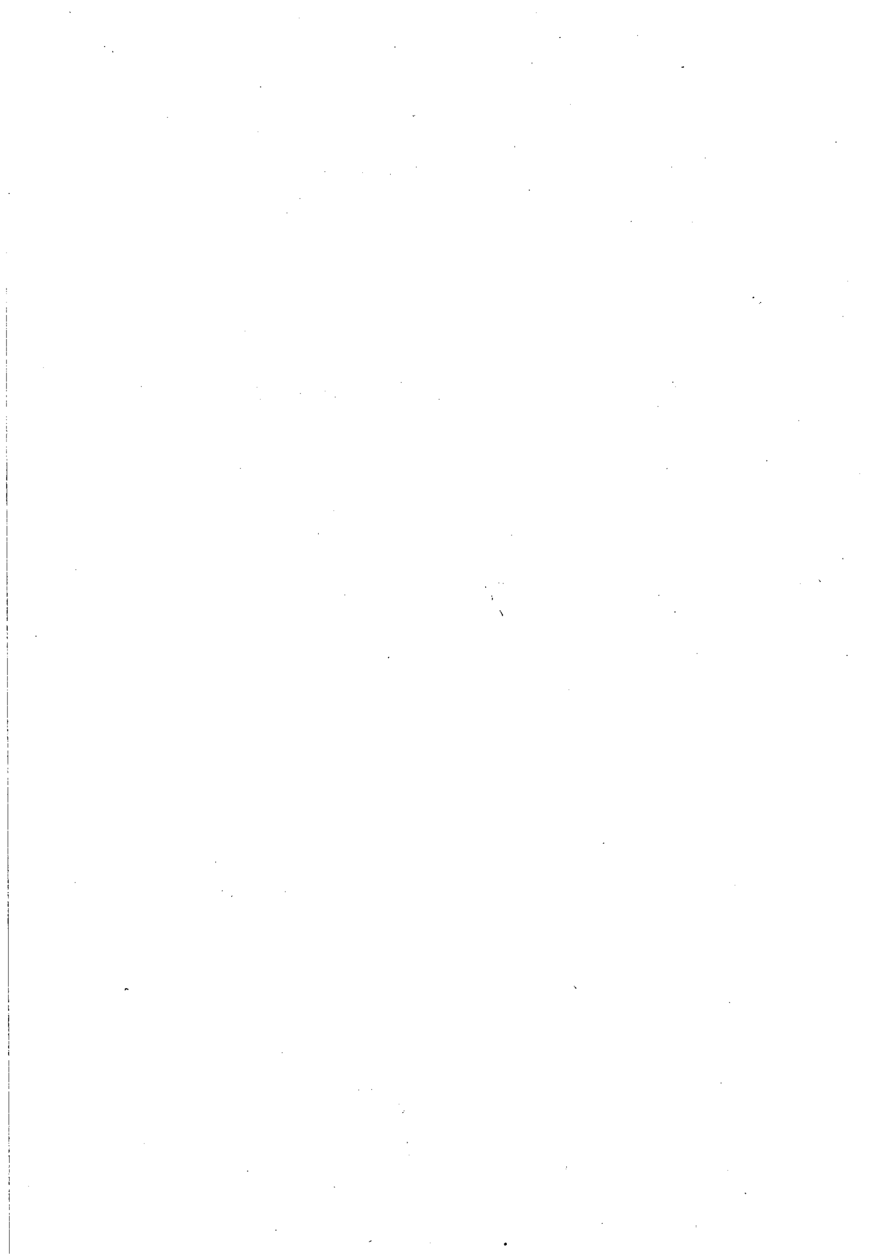
ولقد تحقق الحلم، وانتصرت الثورة، وتسلم الشعب مقاليده، واخذ يبشر شعوب العالم قاطبة بعصر الجماهير عبر مفاهيم النظرية العالمية الثالثة التي وضعت من خلال الفصول الثلاثة من الكتاب الأخضر حلولا نهائية للمشكل السياسي والاقتصادي والاجتماعي . . واستطاع شعبنا العربي في ليبيا ان يجسد هذه المفاهيم عبر الديمقراطية الشعبية المباشرة التي انارت الطريق لكل شعوب العالم كي تحطم اغلالها وتتحرر نهائيا من كل المفاهيم المريضة التي ضللت العالم وقادتـه الى هذه

---

(1) على الرقيعي ـ ديوان اشواق صغيرة

الانهيارات المتواصلة التي نشهدها اليوم في كثير من بقاع المعمورة التي لا زالت تتبنى النظريات الفاشلة والعقيمة من ماركسية متسلطة ورأسمالية متحكمة ومستعبدة.

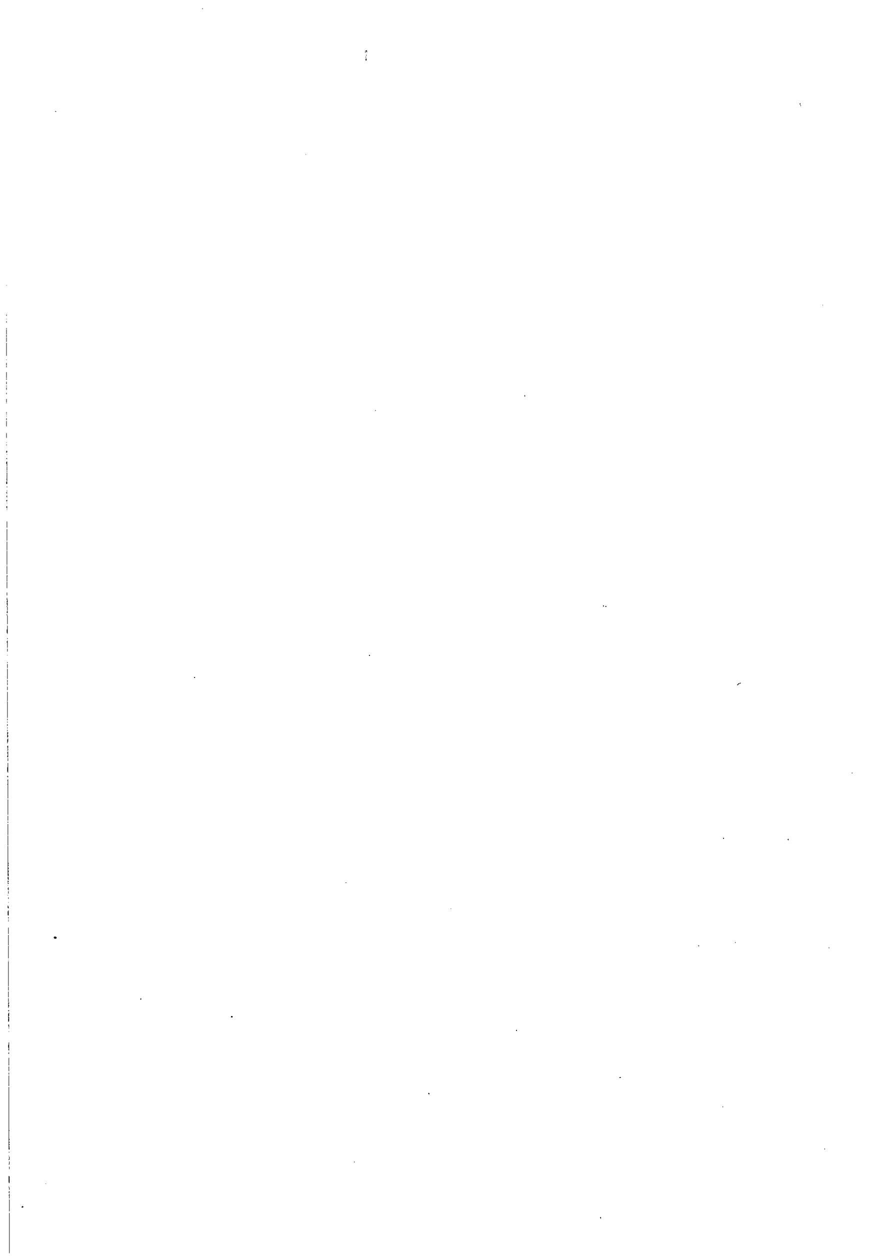
حقاً لقد حقق الشعب العربي في الجماهيرية المعجزة، وانها لمعجزة لكل البشر وليس للشعراء فحسب بأن يتحقق هذا الحلم العظيم على هذه الأرض المناضلة أرض الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية.



الرِّيَاح في المدينة

سَيكون هُنَاك نهَار
لَن تغرب فيهِ الشَمْس
لن يَهضم حَقّ
في كُلّ مكَان
يعمرهُ قلب إنسَان

المجراب



استطيع منذ البداية، أن اوضح بانني قد اخترت عمدا الشاعر (عبد الحميد المجراب) صاحب ديوان (رياح في المدينة) كنموذج ابدأ به دراستي لبقية النماذج الشعرية، التي كانت تدعو للثورة، وتحلم بها، وتنتظرها، عبر عذابها اليومي، وادراكها العميق لكل ما يمتلىء به الواقع من تناقض وقتامة، ليست في مصلحة الانسان الذي تنغرس جذوره في عمق هذه الأرض، التي تظل-بالرغم من كل ذلك-تحلم بندى الفجر القادم، وترسم ملامح مستقبل مشرق، تنهي فيه كل همومها ومآسيها، مبددة قتامة هذا الواقع عبر الايمان العميق الذي يتسرب الى نفوس ابنائها كل يوم، يستحث ويدفع ويذكي أوار الثورة التي تقتلع جذور الطغيان، وتطهر التراب من دنس الرجعية والعمالة والقهر.

وبالرغم من ان شعراء آخرين قد اصدروا دواوين شعرية سبقت (**رياح في المدينة**) كالشاعر (علي الرقيعي) الذي اصدر ديوانه (**الحنين- الظامي**) قبل صدور ديوان المجراب بسنوات قليلة، فإن اسبابا كثيرة تدفعني الى التركيز على (**رياح في المدينة**) الذي صدر سنة 1961 ولعل ابرز هذه الأسباب ان الديوان يكاد يكون مخصصا للتحريض على الثورة والمطالبة بها والاسراع بدحر النظام الملكي العميل والحلم بمستقبل افضل للانسان على هذه الأرض، عبر ثورة تجعل هذا الحلم حقيقة، وتبدد كل غيوم الزيف والتفاهة والانهيار. وربما من اجل ذلك تمت طباعة الديوان في مصر عندما كانت قلعة للصمود العربي، وحاملة للواء الثورة على الأنظمة العميلة في الوطن العربي.

ولقد اتضح لي ان (**المجراب**) لم يكن يفكر في كتابة الشعر، لولا انه كان يدرك ادراكا واضحا، ان الشعر هو الوسيلة الوحيدة والممكنة للتعبير عن احساس المواطن بالقهر والتمزق الناتج عن الممارسات القمعية، التي كانت اجهزة النظام الملكي العميل تخنق بها الأنفاس.

لقد كتب (**عبد الحميد المجراب**) ديوانه في فترة كان الوطن

خلالها يعاني ابشع مظاهر القهر من تسلط وخنق للحريات وتزييف للديمقراطية ونهب لثروات الشعب، وتفريط في حقوق الوطن بتحويله الى بؤرة للفساد، وامتلائه بالقواعد الأجنبية- بريطانية وامريكية- واستيلاء بقايا (الفاشست) وعملائهم على مقاليد الأمور وتسييرها لخدمة اغراضهم الاستيطانية، التي كانت تهدف على المدى البعيد الى تحقيق ذلك الحلم القديم الذي من اجله سعت ايطاليا لاحتلال الوطن، وهو محو عروبة هذا الوطن و(طلينته) بالكامل، وبالرغم من ان ذلك الحلم قد تبدد على صخرة صمود هذا الشعب واستبساله في الدفاع عن عروبته وتمسكه بعقيدته، طوال فترة الاحتلال الايطالي، فإن الحلم الاستعماري ظل يعيش في أعماق الايطاليين مجسدا في تلك الفلول الضخمة من الفاشست التي بقيت تسعى لتحقيق هذه الأمنية في ظل النظام الملكي الذي وفر لها كل الأسباب التي تمكنها من تحقيق هدفها على المدى الطويل.. فكل الأرض كانت ملكها وكل المصالح بقيت لها.. وكل النفوذ كان في ايديها، ولم يكن النظام الملكي سوى صنيعة استعمارية، لا يستشعر مصالح هذا الوطن بأي صورة من الصور.

وكان الشاعر- في ذلك الوقت- عندما اصدر ديوانه شابا لم

يتجاوز الثالثة والعشرين، اذ هو كما يقول في ديوانه من مواليد العام 1948 ، وكان مثل اي شاب وطني يحس بهذه الكوارث التي تهدد وطنه، فلا يملك الا ان يترجم احساسه شعرا.

وخلال تلك الفترة كانت ثورة الثالث والعشرين من يوليو بقيادة الزعيم الراحل (**جمال عبد الناصر**) قد رسخت جذورها واثبتت فعاليتها، واستطاعت بفضل مواقف زعيمها، ان تكسب كل الجماهير العربية على امتداد الوطن العربي الكبير، وان تدعم ذلك المخاض الثوري الذي كان يتجسد في تلك الانتفاضة القومية التي عمت الساحة العربية مطالبة بالتحرر من قيود الاستعمار والعملاء، ولقد كان صمود الشعب المصري، ابان العدوان الثلاثي عام 1956 م وسقوط النظام الملكي العميل في العراق، عاملا من العوامل التي دفعت الشعراء العرب على اختلاف اقطارهم الى الاحساس بأهمية هذه المرحلة التاريخية ومواكبة هذا المد الثوري العارم، الذي الهب الاحاسيس القومية في اعماق الجماهير، ودفعها الى مزيد من الانتفاضات التحررية الخلاقة، ولم يكن الشعراء بعيدين عن ذلك فقد اتخذوا مواقعهم في ساحة النضال والجهاد والكفاح

مطالبين بالحرية للشعوب، وتحطيم عروش البغي والطغيان والعمالة.

وقد كان الشاعر (**عبد الحميد المجراب**) أحد هؤلاء الشعراء الذين أسهموا في هذه المرحلة، وكتبوا شعرا فيه كل صدق المناضلين وحرارة الانفعال الحقيقي بقضايا الوطن، والحلم المستمر بفجر الثورة القادم، الذي يدك العرش العميل الذي باع الوطن للاجنبي، وكبله بالمعاهدات القذرة، وملأ الوطن عهرا وخيانة وطغيانا، ولأن طبيعة مثل هذا الشعر، لا تحتفى بالصياغة الفنية، ولا تفكر في التنميق والزخرف بل وتحفل- عن جهل احيانا وعدم مبالاة أحيانا أخرى، بالكثير من السقطات العروضية واللغوية، التي كانت من خصائص شعر هذه الفترة، وبصورة خاصة شعر (**عبد الحميدالمجراب**) ربما لأن همه الوحيد كان يتجسد في الافصاح عن مشاعره الوطنية وقول كلمته، بحيث تكون هذه الكلمة ادانة للعهد الملكي المنهار وحلما بالفجر القادم وصيحة حق في وجه الظالمين، وألما عميقايتغلغل في النفس، وينزرع في الوجدان، عندما يرى الانسان هذه المدن الهائلة من الصفيح التي كانت تعج

بالفقراء، فيما كان السادة والعملاء والأجانب يتمتعون بسكنى القصور، وتبديد ثروة الوطن.

هذا التناقض بين ما هو عليه المواطن، وما هو عليه الحاكم والخونة، هو الذي ادمى قلب الشاعر وقاده الى قضيته بوضوح دون ان يفكر في كيفية التعبير عن قضيته بالشكل الفني الذي يتفق عليه نقادالأدب من خلال مواصفات خاصة قد تغيب عن ذهن شاب صغير لم تكن تشغله سوى قضايا وطنه ومشاكل التخلف التي تعيشها امته، والقواعد الأجنبية التي تجثم فوق أرضه، وثرواته التي تنهب بينما بقية الشعب يعيش محروما وبائسا لا يجد قوت يومه.

هذا وحده ما كان يريد ان يعبر عنه، لذلك جاء ديوانه وقد غلب عليه طابع المباشرة والخطابة والأخطاء العروضية واللغوية بل وسقطت معظم القصائد في النثرية التي ابتعدت عن الشعر ابتعادا كليا.

لكن (رياح في المدينة) يظل مع ذلك، أحد تلك الدواوين الشعرية التي حاولت بشجاعة نادرة ان تقول كلمتها في عهد كانت الكلمة الصادقة تحتسب جريمة لا يمكن غفرانها، فقد

طالب بوضوح ومباشرة بالثورة على النظام الملكي وتخليص البلاد من فساده وطغيانه.

وما اروع ان يقف الشاعر في وجه الطغيان وهو مجرد انسان اعزل لا يملك شيئا سوى الكلمة في مواجهة قوى شرسة تتحين الفرص لاقتناصه والانقضاض عليه.

يقول الشاعر (**عبد الحميد المجراب**) في قصيدته التي يسميها (**الأرض**) ويفتتح بها ديوانه:

يا أمل شعبي المقدام
صانع الخير والسلام
الوجوه الكالحة تملك المفتاح
ولن تنام على الأرض
ولن يكون هناك ـباب عكارهـ
والأيدي التي تغزل الحرير
تغني تبتسم للغد

❋ ❋ ❋

ان القضية الاجتماعية مفصولة عن القضية السياسية عند هذا الشاعرـ ان كون (باب عكارة) الحقيرة، التي لا تليق

بكرامة الانسان وفقر سكانها، والأمراض التي تنتشر بينهم، جسدية واجتماعية، كل ذلك هو بالدرجة الأولى نتيجة لتردي الأوضاع السياسية: وسيطرة مجموعة من العملاء الذين كانوا يسرقون قوت هذا الشعب، وما كانوا يهتمون بشيء قدر اهتمامهم بمصالحهم الخاصة، اما المواطن، اما الفقراء، اما الفساد الذي يعم كل شيء فتلك قضية اخرى ليست من اختصاصهم، ولم تكن في يوم من الأيام موضع اهتمامهم.

ومن أجل ذلك فالشاعر يعي هذه المعادلة بعمق، ويجسد مضامينها ودلالالتها في ايجابية واضحة ـفباب عكارة ـ و(كانبو البطرية) وغيرها من مدن الصفيح الأسود الصدىء، ستظل باقية، ولن تزال إلا بازالة أسبابها اعني بازالة النظام الملكي بأكمله والثورة عليه، واستئصال بقاياه وكل امتداداته العفنة من جذورها، وهكذا يعلن الشاعر موقفه بصراحة ووضوح تامين:

ـ يا شاعري. . سنواصل
القرع بقوة
لجبروت الثورة
رغم سارقي ابتسامات الأطفال

والخبز من الوجوه الكالحة
ولن يكون هناك
اعداء.. لك .. ولي.. وللجميع
وللكتاب الأحرار.. الثوار
وسيكون هناك نهار
لن تغرب فيه الشمس
لن يهضم حق
في كل مكان
يعمره قلب الانسان
في كل زمان
يغمره الأطفال حنان
ما أجمل كلمات الانسان
تناضـــل
في كل مكان
تجتث جذور الطغيان

ان الارتباكات الفنية، كما سبقت الاشارة تبدو واضحة، خاصة في هذا المقطع الذي تضمن كل عيوب القصيدة الحرة.

من مباشرة وسطحية وتقريرية وخطابة، وعدم التزام بالايقاع الفني السليم. لكن دفق المضمون الثوري والنضالي في هذه القصيدة. **يجعلك تنسى كل ذلـك، لأنك في النهـاية،** تبحث عن كلمة تهز وجدانك وتضع الحقيقة أمام عينيك، وتفضح زيف الشعارات الكاذبة التي كانت أجهزة العهد المنهار تملأ بها أسماعنا، بيد أن الاباطيل لا يمكن ان تتحول الى حقائق، فها هي صورة الشعب تتقدم من خلال قصائد **(المجراب)** في تجسيد صادق يمثل الحقيقة في أوضح صورها، وها هو رأي الشاعر ينطلق بوضوح. مطالباً بالثورة واقتلاع الجذور العفنة، ولا يطالب بالاصلاح، اصلاح وترميم البناء المنهار، انه شاعر ثورة، وليس شاعرا اصلاحيا، فالاصلاحي **يحاول قدر جهده أن يحافظ على بقاء القـديم المتهالـك فيدعو إلى ترميمه، لأن ثمة روابط ومصالح تشده إليه، سيفقدها بفقده لهذا النظام، أما هذا الشاعر فهو ابن من أبناء** الشعب (ساكني الأكواخ) الذين يحترقون كل يوم بنار الفقر وجحيم الطغيان، انه يقف في الضفة الأخرى، في الجانب الآخر، حيث الفقراء المبعدون عن كل مقومات الحياة ويراقب تلك المدينة الأخرى التي تبدو غريبة عليه، كأنه ليس من

سكانها، كأنه ليس واحداً منها. من أبناء شعبها. انها تبدو حزينة وكئيبة وقاتمة لأن الظلم والطغيان والاستعباد قد كللها بالسواد والقتامة والحزن:

شمس وظل
وشهيد ظلمكم ذبيح
حتى الصفيح بكى عليه

* .. * .. *

لا تسألوني عن المدينة
حيرى حزينة
لا النفس تدخلها السكينة
لا الشعب يزهو
لا ديار ولا مدينة

لكن هذه الصورة القاتمة التي يرسمها الشاعر للمدينة لا تقودنا الى الاحساس بانهيار الانسان فيها ان كل هذه الصور تعطينا احساسا حادا بأن انسان هذه الأرض، هذه المدينة الحزينة، سوف ينتفض في يوم من الأيام كالبركان محققا الثورة التي اقسم

على القيام بها، وقرر ان يحقق ذلك الحلم الأبدي في اعماق هذا الشعب. ان تظل الأرض طاهرة. ويظل الانسان حرا. وتصنع الجماهير من خيوط الفجر القادم صورة المستقبل الذي يرسي دعائمه الأحرار.

هزت الريح سفينا
بين لجات البحور
انا ـ انت ـ كلنا
سوف نثور

* .. * .. *

ثم يغدو الظلم والطغيان
والكل سراب
يا صحاب
اننا اقسمنا ان نثور

* .. * .. *

ان الجروح الدامية
ان المعارك حامية

ان نفوسنا راضية
قد كفانا.
تذكروا
اننا اقسمنا ان نثور

* . . * . . *

لقد اقسم الشعب على الثورة، وسجل الشاعر هذا القسم مجسدا حلم الشعب بالحرية والكرامة والعزة.

وكان **فجر الفاتح العظيم**، بشرى بتحقيق هذا الحلم الذي انتظرته الجماهير طويلا، عندما انطلق صوت القائد، يزف تلك البشرى ويعلن نهاية الطغيان، وسقوط العمالة وانهيار العروش.

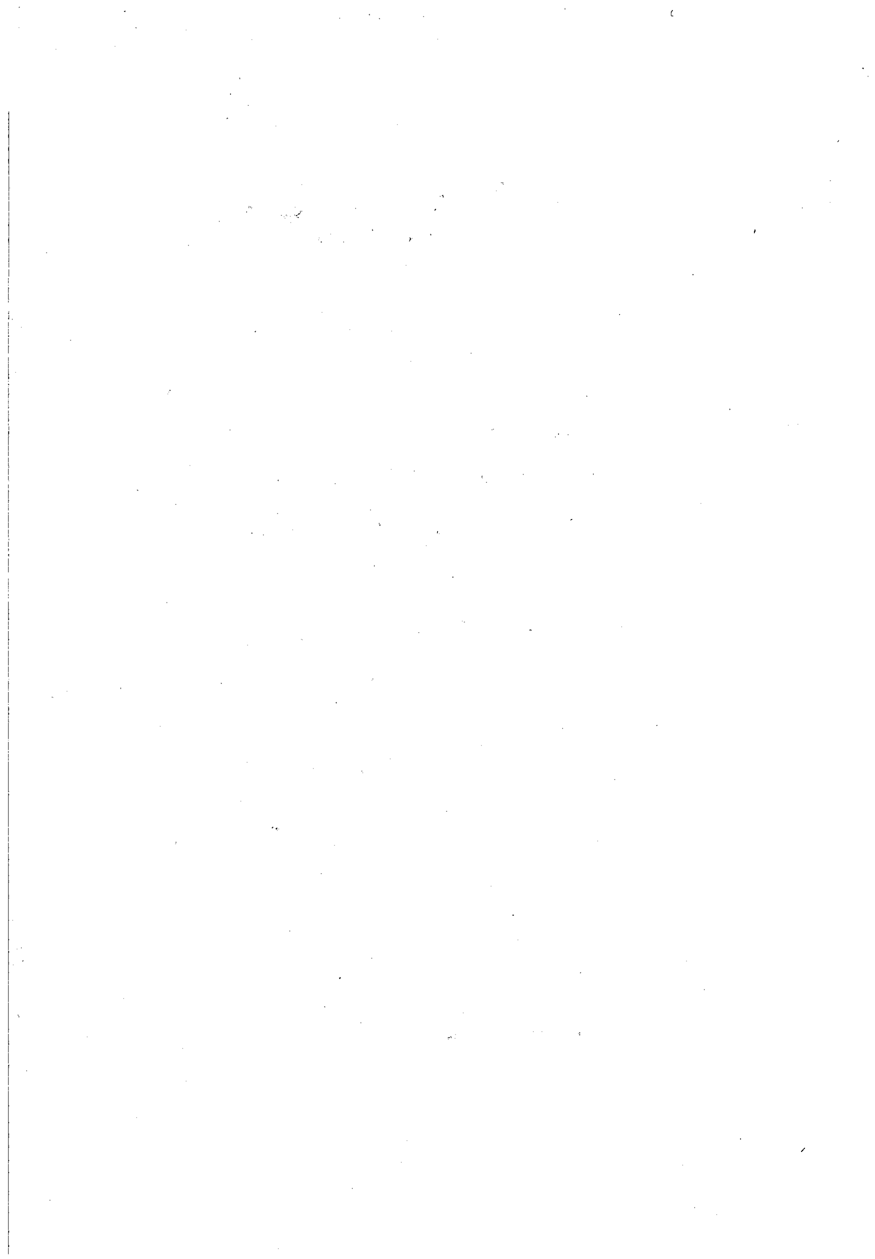
كان صوت القائد نهاية لرحلة طويلة من الشقاء والقهر عاشها هذا الشعب.. وبداية لرحلة جديدة مليئة بالانتصارات فيها استرد الانسان في هذا البلد حقوقه. ونال حريته وامتلك السلطة والثروة والسلاح، واصبح شعبا مسلحا، اصبح شعبا سيدا، وتحقق حلم الشاعر والشعب معا عبر نفس الصوت،

صوت القائد الذي أعلن بداية عصر الجماهير، وكانت تلك اعظم القصائد في تاريخ البشرية.

الشاعر الذي رحل قبل الفجر

كيفَ يكبُو الشّعب بعدَ اليَوم
يَا رِيح الخيَانة
لَم أعُد وَحدي .. وَفي عيَني
ميلاد نهَار يَتضرّم
وَالشفَاه المطبقَات السّود صَارت
تَتَكَلّم
بعَد لَيل اللّيل صَارَت أُغنيَات
تَتَرنَّم
لكَ يا فارسَنَا الدّامي تغني
تَتَألَّم
تحرسُ الكَنز الذي يَلمع في
جفنَيك مِن تحت الجرَاح
تَلدُ الاشوَاق شبَاكاً لميلادِ
الصّبَاح

علي الرقيعي



ما زلت استشعر قسوة الفجيعة، ومرارة الحزن، كلما تذكرت الشاعر الصديق- علي الرقيعي- أو فكرت في الكتابة عنه، فلا زلت اتمثل طيفه أمامي، مرحا، يتدفق بالشعر والمحبة والاخلاص للأرض والوطن والناس، وترافقه تلك- الضحكة- المجلجلة التي عرف بها اينما حل برغم التعاسات التي كان يعيشها والهموم التي كانت تملأ حياته، والمواجع التي تقض مضجعه كل يوم ولعلني لهذا السبب أجد تفسيرا لعدم كتابتي عنه، باستثناء ذلك المقال اليتيم الذي كتبته قبل وفاته، وقرأته عليه قبل دفعه الى المطبعة بلحظات، فأبدى اعجابه به، ثم عاجلته المنية قبل ان يقرأه منشورا، وقد قمت فيما بعد باختيار المقال ضمن المقالات التي تضمنها كتابي- الكلمة الشرارة. .- فما أشد قسوة الموت، وهو يختطف منا شاعرا كانت الثورة تملأ

كل وجدانه، كانت اغنيته الوحيدة، وحلمه الدائم، وهاجسه المستمر، الذي ملأ كل سطر من سطور قصائده الكثيرة، ما نشر منها في ديوانيه- الحنين الظامىء- وأشواق صغيرة- وما فقد- مع الأسف- مع ما فقد من اوراقه وكتاباته العبقرية. . .

ولا أعتقد ان ثمة بهجة كان يتمنى ان تملأ جسده الواهن وقلبه الكبير، مثل ذلك البهجة التي كان سيمتلىء بها وهو يشهد ميلاد فجر الفاتح من سبتمبر العظيم، لكن القدر أبى إلا أن يحرمه هذه البهجة، ويمنحها لقصائده وابداعاته التي بقيت وحدها تسجل حلم هذا الشاعر المستمر، بيوم ينهار فيه عرش الطغيان، وتزحف جموع هذا الشعب تحقق انتصارها على جلاديها ومستعبديها وخانقي حريتها. لقد كان- علي الرقيعي- من أكثر الشعراء حلما بالثورة وانتظارا لها ودعوة الى تفجرها، وبزوغ شمسها. . . فمن هو- علي الرقيعي- الذي نتحدث عنه بكل هذا الود والتقدير؟ . . .

يحدثنا الأستاذ بشير الهاشمي- القاص والناقد، عن كيفية تعرفه على هذا الشاعر في كتابه- كلمات على الدرب- فيلقي ظلالا عميقة تعطينا قدرا كبيرا من الوضوح الذي ينير أمامنا

الطريق للتعرف على هذا الشاعر الكبير، الذي تكاد الأجيال الجديدة من شبابنا الا تعرف عنه شيئا:

يقول الأستاذ الهاشمي :ـ مع المحاولات الشعرية الأولى التي اخذت تشق طريقها الى النشر، كان الشاعر علي الرقيعي يحظى باهتمام مختلف الأوساط الأدبية والثقافية، ذلك لأنه يعد بحق اشراقا جديدا في مضمار الشعر الليبي، وتطلعا واعيا لمنطلقات لم يعهدها الأدب عندنا من قبل، وحالة مخاض لتحولات ساهم الرقيعي فيها بكل قوى نبضه وتفتحه، ومنذ ذلك الوقت كنت اسمع عنه وأتابع كتاباته الشعرية، التي كان ينشرها متفرقة في مختلف الجرائد والمجلات مثل مجلة ـ هنا طرابلس الغرب ـ و ـ صوت المربي ـ وجريدة ـ طرابلس الغرب ـ وغيرها، ومما اذكره انني رأيته لأول مرة في حديقة المستشفى حيث كان يعمل موظفا بوزارة الصحة، وكان الذي أشار اليه هو الصديق ـ يوسف الشريف ـ غير أن بعد المسافة بين مكاننا ومكانه لم يتح لنا فرصة التعرف عليه، ومع الأيام كنت التقي به يوميا، لنكتشف بعد ذلك اننا نقيم في حي واحد وشارع واحد وفي تلك الفترة 55 - 56م ـ كانت النفس مفعمة بالكثير من الأرهاصات والمحاولات والتطلعات التي تبحث لها عن طريق ومستقر، تخرج به على

الناس وكنت اسمع بهده الأسماء اللامعة في حياتنا الفكرية، وأتابع انتاجها باعجاب مثل :- علي مصطفى المصراتي وخليفة التليسي وعبد القادر ابو هروس وكامل المقهور ومفتاح الشريف والرقيعي وغيرهم، وفي اعماقي تكبر لهفة البحث على من اطلعه على انتاجي ويعطيني الرأي فيه ويمنحني القدرة على الوعي والتفتح وتجرأت ذات يوم وقلت له : انني أكتب القصة القصيرة، وانني أتمنى أن يطلع على محاولاتي، وكان غاية ما أتوقعه منه أن يجبر بخاطري ويعدني بذلك، لكني فوجئت بحماسه الشديد ورغبته في التو واللحظة في قراءة محاولاتي . . .

ان هذه السطور المبعثرة من ذكريات الأستاذ بشير الهاشمي- مع الشاعر علي الرقيعي تعطينا بوضوح صورة عنه، وظيفته الصغيرة المتواضعة، نشاطه وتأثيره في الحياة الأدبية، اهتمام الأوساط الأدبية بموهبته وتقديرها لها، محبته الشديدة، ولهفته علي قراءة كل عمل أدبي ليبي، واحتفاءه بكل من يسير في طريق الكلمة المليء بالأشواك والصعاب، وبالاضافة الى كل ذلك فان الأستاذ الهاشمي ينقل لنا صورة اخرى اكثر اهمية.

يقول الأستاذ الهاشمي :- في أواخر أيامه كان الرقيعي يداري جراحا ممضة، ألما عنيدا، وكثيرا ما تتحول الضحكة المفعمة بالبهجة الى حرقة يطويها بين جوانحه وسط تراكمات اوضاع فاسدة كانت تنخر صدر مجتمعه بأبشع أشكال الاستغلال والظلم، ويضيع صوته وسط الزحام، ويظل اشعاع أمله في ان ينتصر الانسان يوما لمعدنه، وقد انتصر فعلا مع انتصار الثورة المظفرة. . . لقد كان بحق ابن الأرض والحياة [1]

ان ما ينقله بشير الهاشمي يمثل في الواقع صورة صادقة عن بعض لحظات اليأس والتذمر التي كان يعيشها هذا الشاعر في اواخر أيامه، لكنني اختلف مع الأستاذ الهاشمي في ان هذه اللحظات كانت تصاحبه دائما، لأنها لم تكن سوى لحظات من الغضب والانكسار الذي افرزته وطأة الظروف القاسية، التي كان يعيشها الشاعر كما يعيشها كل الناس في ظل النظام الملكي المنهار واجهزته القمعية والفساد الذي كان ينتشر في كل

---

(1) باب عكارة. حي سكني من اكواخ الصفيح، كان يسكنه الفقراء والكادحون وعند قيام ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة ، ازيل تماما واقيمت بدله شقق وعمارات فخمة لنفس السكان.

مكان. . . المستعمر يـدوس الأرض ويدنسهـا بالقـواعد الأجنبية، وملك عميل يبيع ضميره ووطنه وتردي في كافة النواحي الاجتماعية والسياسية، تلك كانت صورة الوطن في ظل العهد الملكي المنهار، وذلك ما كان يقلق الشاعر ويعذبه، وقد يقوده الى اليأس أحيانا لكن هذا اليأس لا يستمر طويلا، اذ سرعان ما يعود الأمل الى أعماق الشاعر ليؤكد له ان القهر لا يستمر طويلا وان الشعب سينتصر يوما، وان عرش الطغيان سيتهاوى أثر ضربات فتية أحرار من ابناء هذا الشعب. . . الذين تنغرس جذورهم في اعماق هذه الأرض الطيبة التي عانت من القهر والمذلة حقبا طويلة من الزمن. . .

لقد كان ايمان الشاعر علي الرقيعي بالثورة لا يتزعزع، وانتظاره لها لا يدركه اليأس والملل وكانت اغنياته دائما فرحة وترقبا للفجر القادم وتبشيرا بالانتصار:

لا تمهلي، فسيبزغ الصبح
القريب عريان حيث نظل في وهج النهار. .
اشعارنا المتوهجات
بيضاء تحتضن الحناجر
والقلوب. .

انه شاعر لا يعرف اليأس ابداً، لأنه يؤمن بأن الشعوب المقهورة تستطيع ان تصنع انتصارها بتفجير لحظات القتامة التي تصاحب القهر ومحوها تماما، عن طريق الثورة، فالثورة وحدها هي الطريق الى تغيير الواقع السيىء الى واقع افضل مليء **بالاشراق**، واذا كانت مهمة الشاعر الملتزم بقضايا شعبه وأمته، هي ان يحلم بواقع افضل يتحول فيه الانسان الى كائن جديد حر يستطيع ان يبني حياته وفق ما يريد، **وأن يصنع** مستقبل وطنه وفق ما يتطلبه العصر وما تحتمه ظروف التغيرات الحضارية التي تشهدها البشرية . . .

اذا كانت هذه هي وظيفة الشاعر، فقد استطاع ـ علي الرقيعي ـ ان يحقق هذا المفهوم في شعره وفي حياته وفي مواقفه، فهو لم يهادن الطغيان في يوم من الأيام، ولم تستهوه الاغراءات الكثيرة التي كانت تقدم له ليصمت، وبقي شامخا يقول كلمته، يدين الوضع القائم حينذاك ويتمرد عليه، حتى انه مات عاطلا عن العمل، لأن طغاة العهد المباد كانوا يعتقدون ان تجويعه هو الوسيلة الوحيدة التي تجعله ينهار ويركع، لكن ـ علي الرقيعي ـ لم يكن من أولئك الذين ينهارون أمام أبسط الأزمات. لقد بقي

صامدا يقاوم الطغاة، لأنه كان يدرك ان الأزمة سوف تنفرج يوما، ولم يكن يفكر في أزمته الشخصية، بقدر ما كان يفكر في أزمة شعبه، الذي كان يرزح تحت نير الطغيان، حتى ان قصائده الأخيرة كانت ادانة لأولئك المتخاذلين الذين سقطوا في بداية الطريق وفقدوا الأيمان بانتصار هذا الشعب، كما كانت ادانة لأولئك السلبيين الذين يكتفون بالتباكي على مصير هذا الشعب. يذرفون الدموع من اجله وقد غرقوا في اليأس حتى آذانهم... لأن الدموع والسلبية، والتباكي الأخرق لا يقود الشعوب الى الأمام ولا يصنع انتصاراتها..

فليدفن الموتى، بلا كفن، فليس
لنا دموع.
عبثا لنذرفها على الدرب
الطويل ولنترجم الأطياف، ما جدوى
خيالات الليال والحالمون
ما دام في أعماقنا للنور، للحب
العظيم
شوق وما دام الطريق

للفجر تسلكه جموع السائرين.

ان قضية حلم الشاعر المتواصل بالثورة، وانتظاره لها تستحوذ على معظم قصائد ديوانه الذي صدر قبل وفاته بمدة قصيرة، اعني ديوان ـ أشواق صغيرة ـ وإذا كان الأستاذ (أمين مازن) قد لاحظ في مقالته التي نشرت بمجلة «الرواد» عن ديوان الشاعر[1]..

ان الحب قد خص بنصيب الأسد، حتى اننا لا نكاد نقرأ قصيدة واحدة منه الا ونجد فيها ضلالا لهذه الظاهرة الانسانية التي اتيح له دون غيره ان يعبر عنها، فان الحب عندـ علي الرقيعيـ هو حب للأرض وللشعب، ان مفهومه للحب يختلف عن تلك المفاهيم المراهقة التي تعودنا على قراءة نماذجها السطحية الفجة، ان المرأة عنده هي الوطن وحرمانه منها هو حرمانه من كل خيرات هذا الوطن الذي يمتلكه الآخرون، من حاشية السلطان، ان الأستاذ أمين مازن يسجل على الشاعرـ

---

(1) الحياة والشعر ـ ستيف سبندر ـ ترجمة مصطفى بدوي ص 6

اندفاعه وراء الاحساسات الرومانسية، بحيث تكون المحبوبة كل شيء لديه في الدنيا، لدرجة ان الشاعر يضرب عرض الحائط بكل ما في المجتمع من قيم وتقاليد في غمرة غضبه واحتجاجه، ويستشهد بنموذج من شعر الشاعر يقول فيه:

أنا لا أبالي اذا انت لي، ما الهدى
ما الضلال
وما قد يصير وما قد يقال
أنا لا أبالي فحسبي أنام بدنيا
عيونك
وحسبي جفونك
تدثرني بالظلال

ان هذا النموذج الذي يستشهد به الأستاذ الناقد يعكس رغبة الشاعر في الفرار من الواقع الاجتماعي، بقدر ما هو تعبير اخر عن حب الشاعر للأرض، والتصاقه بقضايا الجماهير، اذ الأرض هي المحبوبةلا غير، وكل ما نحتاجه للوصول إلى هذه النتيجة او هذا المفهوم، هو ان نقرأ شعر الشاعر قراءة عامة تبتعد عن التجزيئية التي اضرت بالأدب العربي كثيرا، وان

نتأمل مواقفه ومنهجه الفكري تأملاً دقيقاً لنكتشف أن قصائده كانت عشقاً للأرض، وتحريضاً متواصلاً للجماهير، وحلمًا لا ينقطع بالانتفاضة العظيمة، لم يتحول الشاعر فجأة إلى شيء آخر بعيد عن ذلك كل البعد، ولم يكن منطقياً أن يهمل الناقد مجموع القصائد ليقتنص قصيدة أو قصيدتين، ينتصر من خلالهما لفهمه الخاص والمحدود لتجربة إبداعية متكاملة. . .

ذلك هو الخطأ الذي وقع فيه الأستاذ (أمين مازن) رغم أنه تداركه في بقية مقاله حيث انتبه الى ان القضية بالنسبة للرقيعي ليست قضية كبت وشوق متواصل للمرأة ـ لقد غدت شيئا آخر غير ذلك، اذ ان قصيدة ـ اربع اغنيات للحب ـ تكشف بجلاء عن اشراق هذاالمفهوم . انها بمثابة المؤشر الذي يضع ايدينا على لون آخر من الحب عند الرقيعي ، لم يعد الحب لدى هذا الشاعر ينحصر في العطش الى المرأة بمعزل عن حب الانسان لأرضه حبه لأبيه ، حبه لخباز الشارع، ولكن الحب الصحيح انما يحمل هؤلاء جميعا ويشترط سعادة هؤلاء جميعا[1] . . .

تلك هي قضية الشاعر ـ علي الرقيعي ـ الدائمة، ان يغني للأرض والانسان والثورة وان يمتلىء بالحب لكل ذلك. . .

---

(1) على الرقيعي ـ مقدمة ديوان السور الكبير

يا جدوة الحب العميق
شبي بأضلاعي فلي يوم انتصار
ما زلت انشده
ويا خباز شارعنا الثريب
فلتستفق ابتاه، ولتعلن بغنوتك
الحنون

ميلاد افراح الصغار
ولتكتسح أيامنا الجذباء،
غنوتك الحنون
يا زارع البسمات في أحلامنا
العطشى ويا أمل الغداة
ابتاه يا أمل الغداة
لا تنتظر، اطفالنا يتعذبون
والليل في أحيائنا ـ لا تنتظر ـ
قاس ومعبره صعيب

ان مرارة الانتظار ووطأة الواقع الحيوي الذي يمتلىء بكل ما يكدر صفو الحياة، ويخنق احلام الانسان، هو ما يقلق الشاعر

باستمرار ويعذبه، وبرغم كل التعاسات والهزائم المتواصلة يستجمع الشاعر كل قواه ليصرخ مبددا ذلك السكون الذي يشبه سكون المقابر ذلك ان حياته ووجوده نفسه يظل بلا معنى وسط المستنقع الآسن، الذي يمليه القهر وتفرضه ارادة الطغاة، محاولة خنق حلم الجماهير بالحرية والانعتاق من ربقة الذل والعبودية، ان الصدور المليئة بالغضب، لا تكفي، لأنها لا تغير شيئا ولا تمكن الجماهير من تحقيق احلامها، اذن فلا بد ان ينفجر هذا الغضب، مبددا السكون، متحديا كل صور القهر والتعسف مكتسحا ارادة الطغاة والجلادين..

لكن ظروف المرحلة التاريخية قد تقسو على الشاعر عندما تملؤه احساسا بالانفراد. وبان مؤامرة دنيئة تحاك في الظلام كي تغتال كل طموحاته واحلامه، ويظل بالرغم من احساسه بهذه المؤامرة عاجزا عن فعل اي شيء سوى التضحية بنفسه في لحظة انكسار وفجيعة مرعبة، لأنه بات يعتقد ان الجميع يتخلون عنه، راضين بما قدر لهم، ولا تفلح صرخات الشاعر المتواصلة في ايقاظ من خيل اليه انهم قد اصبحوا في عداد الموتى...

ويعيش الشاعر محنته القاسية، وحده يتعذب، ووحده

يواجه سهام الاعداء. . . لكنه بكل عناد المؤمنين وتضحياتهم يظل صامدا في وجه الليل والسجان ومؤامرات الطغاة ينتظر الفجر القادم الذي يراه في كل لحظة من لحظات اشتداد الأزمة واستفحالها:

في كل قلب. . في عيون الآخرين
يا زهرة لم تلتمع يوما ببسمة
مدي برغم الليل. . مدي لي يديك
انا ـ ههنا في جنح غيمة
متيبس الخلجات. . . مدي لي يديك
فلعل في عينيك رحمة
ولعل يا بلد الهموم، لعل . .
ضرعك فيه قطرة
لأبل هذا القلب، كي أشفي غليله
اواه من حبي العميق ومن
جحودك يا بخيلة
يا مرفأ الغرباء لو تدرين اي يد
ثقيلة

تمتد للشعراء أي يد ثقيلة.
في الليل ليل الصمت مذ ارخى
سدوله
اني اعري صدري الدامي الممزق
للرياح
كي تنظري اعماق جرحي . . .

لقد كان الشاعر- علي الرقيعي- يؤمن بان الشعر ليس الا ملحمة للجموع، واغنية للجماهير، ولقد كان حقا مخلصا لمفهوم الشعر الذي ينتمي للأرض ويناضل من اجل قضايا الانسان، فلا مكان لغير الشعر الذي ينتمي الى الجماهير ويذود عنها، يعبر عن افراحها وأتراحها، يجسد أحلامها وأمانيها ويحلم بذلك اليوم الذي تنتصر فيه على جلاديها وخانقي حريتها. .

ومن أجل ذلك فقد عاش كل حياته في انتظار الفجر الذي يزيل عتمة الظلمات، متصدياً لكل الطواغيت والخونة الذين يحاولون عبثاً وأد الحلم المقدس الذي ينمو في رحم المستقبل:

كيف يكبو الشعب بعد اليوم
يا ريح الخيانة
لم أعد وحدي.. وفي عيني
ميلاد نهار يتضرم
والشفاه المطبقات السودْ صارت
تتكلم
بعد ليل الليل صارت اغنيات.
تترنم
لك يا فارسنا الدامي تغني..
تتألم
تحرس الكنز الذي يلمع في
جفنيك من تحت الجراح
تلد الأشواق شباكا لميلاد
الصباح...

هذا هو (علي الرقيعي) واحد من أولئك الذين حلموا بالثورة طويلا لأنها كانت بالنسبة اليهم حلا لجميع المشكلات والمآسي

التي يعيشها هذا الشعب، ونهاية لكل الصور البشعة التي كانت تكدر صفو الحياة وتغتال انسانية الانسان على هذه الأرض المباركة، ولم يكن ثمة سبيل آخر يحقق طموحات الجماهير ويعيد لها كرامتها المسلوبة، سوى الثورة على هؤلاء الذين لا يعيشون الا في ظل القهر، ولا يسعدون الا في حماية المستعمر الدخيل، ولا يعرفون الطمأنينة الا عندما تختنق كل المشاعر الطيبة في اعماق الجماهير. . .

ومن أجل ذلك كان (علي الرقيعي) يصرخ مطالباً بوضع نهاية لاستعباد الأرض والانسان لقد كان يقول:

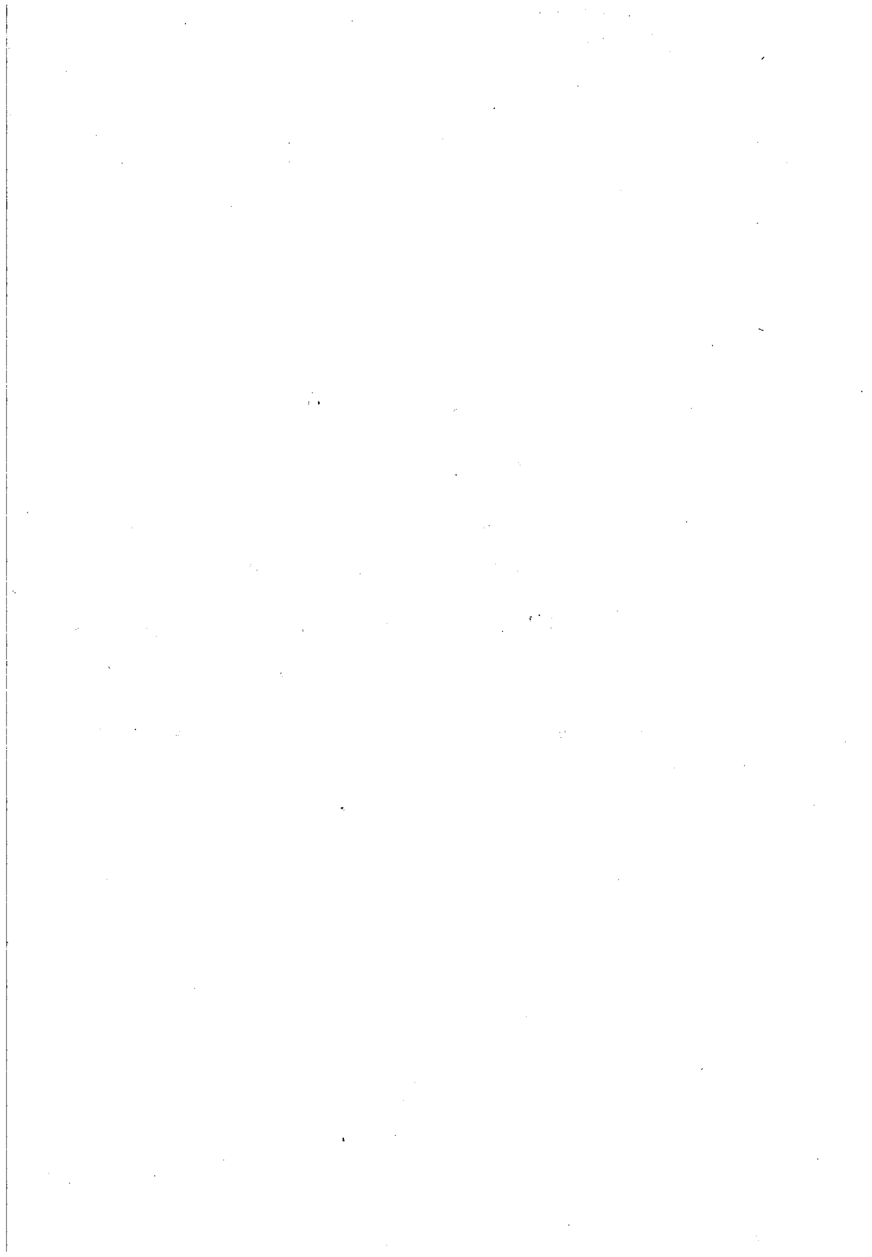
من ترى يلهب ومض الشوق
يا جيل القدر
في ربيع الأغنية
ويسد الدرب في وجه الرياح
الهمجية
وكان يتساءل حتى آخر لحظة
في حياته
اين من يلهب ومض الشوق فينا؟

قبل ان يصدأ في أعماقنا دفء
الحياة . .

لقد ظلت اعماق هذا الشعب تتدفق بدفء الحياة رغم القهر والطغيان وسيطرة العرش العميل، حتى جاء ذلك الفارس الذي الهب ومض الشوق في اعماق شعبنا، ويسد الدرب في وجه الرياح الهمجية لقد كان فجر الفاتح العظيم نهاية لكل هذه المآسي التي كان يغرق فيها هذا الشعب، ومنذ ذلك الميلاد العظيم حقق شعبنا اعظم المنجزات متجاوزا كل التجارب والاطروحات القديمة محققا اول جماهيرية في التاريخ ومبشرا بعصر الجماهير والانعتاق النهائي من السيطرة والذل والعبودية .

قصيدة لــم تنشر

لعل قصيدة الأرض، هي أنضج ما كتب الشاعر المرحوم علي الرقيعي، وتعتبر هذه القصيدة، مع قصيدة «جنكيز خان» من أكثر قصائد الشاعر، احتفالاً بإنسان هذه الأرض وامتلاءً بالقيم والمضامين الثورية، وقد رأيت ان انشر هذه القصيدة كاملة، على هذه الصفحات لأنها واحدة من القصائد التي لم تنشر في ديواني الشاعر، بحيث ظلت نصاً مجهولاً لدى الكثير



الأرض

شِعْـر : علي محمّد الرقيعي

من أين جئت؟!
وهز اوصالي بإحدى قبضتيه
وهوى على خدي الوديع بصفعتين
وتسمرت عيناه في وجهي المشنج.. في امتعاض
وبدا له شكلي زريا .. لا يطاق
وروائح العرق الكريه.. تفوح من جسدي الهزيل..
فأثار في احساسي الطفلي ذلة موقفي
وتفاهتي..
وهزيمتي..
وهدرت بالألم الكمين بخاطري المتوجع
متأجج الأحقاد .. مجروح الاباء الاروع
رغم السلاسل في يدي، والسوط يلهب اضلعي

وصرامة الركل المميت تدوس ارهف موضع
وصرخت فيهم يا كلاب الانجليز . .
في قبونا الأرضي . . في ظلمات سفاكي الدماء
والطيبون الوادعون
يتسمعون الي في شوق حزين
وأنا أقص هزيمتي
قطعا امزقها أسى من مهجتي من بدئها . .
من بدئها مخضوبة بمهانتي
اقصوصة العرق المضاع
وشبابي الريان تشذبه المعاول والفؤوس
وتشنجت في خاطري صور لماضي الجميل
وذكرت في (الهنشير) قريتي الحبيبة
وكرومي اللفاء تزخر بالغلال وسنابل القمح الغنية
بالهناءة
والجمال
وظلال زيتوني المبعثر في حقول البرتقال
وأنا أعب الشاي تحت روائها السمح الرحيم
أنا لن اعود نفاية نتئت وقاءتها الطريق

أنا لن أعود أئن في ضعف وضيق
أنا هذه الأرض الرحيمة موطني وبلادي السمراء
مهد الخالدين
وغدا ستحضن مدفني واليوم تعلم انني
لا .. لن أعود أئن في ضعف وضيق

* .. * .. *

ابدا سأذكر صحبتي في السجن في القبو السحيق
وصرامة السجان تغلق دوننا فيض الضياء
وكوى النسيم
ونذالة البغي الأثيم الأسود
من طوحت بالأبرياء الى السجون
ابناء شعبي الرامقين الى الحياة
وذكرت كيف بدأت اسرد قصتي وعلى طهور
اديمها صلى أبي
في صحوة اغفت على كتف الربيع المعشب
حيث الطيور العاشقات يمسن في لهو صبي
والزهر تلثمه نسيمات الصباح المذهب

وصبية جذلى تبين من الحياء وتختبي
ووراءها يجري صبي في حبور عاتب
وعلى الروابي الغانيات على المساء المتعب
تبدو خرافي العائدات بجريها المتوثب
وذكرت أجواق الجنادب ترسل النغم الرتيب
في مسمعي . . فاصيخ يغمرني الحبور
ونقيق اسراب الضفادع كم شجاني صوتها
تنساب تسكر خاطري افراحها . . وشكاتها
عبر السواقي تصطخب المياه
وانا انمنم نشوتي السكرى على سمع الاله
ولكم رنوت الى خديجة زوجتي
في غوطة البرسيم . . جنحها الحنين بجانبي
وذراعها المفتول يمسح عن حبيبات العرق في وجهها
فأذوب من فرط الرضاء . . وتستفز عزيمتي
ويهزني فيضي من الاحساس ملء جوانحي
متماوج . . عذب الحنان . . فاستكين لنشوتي
تلك الخيالات الجميلة والصور ابدا تمر بخاطري
. . ابدا تمر

حتى ابتساماتي تتيمى لخديجتي
حتى حبيبات العرق
حتى سنابل قمحي الذهبي يلثمها النسيم
فبكيت ارضي الطيبة . .
ارضي التي اغتصب الدخيل حقولها
باسم الدفاع عن السلام!
غبنى . . اضعت مزارعي . .
ورحلت والدمع العصي مشنج في مدمعي
وتركت خلفي كنزي المغصوب يزخر بالغلال
بالفيء . . بالظل المبعثر في حقول البرتقال
كنزي ومسرح ذكريات صبابتي ومهاد ايام الصبا
أيام كنت أحوم حول خديجتي
وقوامها الطفلي يغزل امنيات طفولتي
أيام كنا كالأزاهير الوضيئة
نلهو بتعذيب الفراشة والشحارير البريئة
ايام ما عرف اللقاء ما بيننا معنى الخطيئة

* . . * . . *

لا شيء الا الذكريات
نسجت على شفتي خيوطا من حنين
وسوى بقية مجهد ملت امانيه السنون
وحكاية حبلى باسرار التعاسة والشقاء
وأنا أجوب الشارع الممتد حيث اللامكان
كنفاية نتئت وقاءتها الطريق
في اللامكان
ولكم تنزى في دمي حقد العبير
ولكم صرخت من الأسى الطاغي المرير
أأجوع يا حقلاه والقرصان يسرق غلتي
ويحيك من ارباجها نيري ومقود ذلتي
ونعال اقدام الطغاة تدوس أقدس حرمتي
وذراك معفر الجبين . . ذراك مهد طفولتي
أأجيئه يوما والثمه بغامر لهفتي؟!
أأجيئه . . كيف السبيل لأن أحج لقبلتي؟!
أبدا يدمدم في دمي حب التراب الحاقد
حب الحقول الزاخرات بذكريات الحاصد
فإذا بصوت أبي يشق ثرى الرميم الهامد

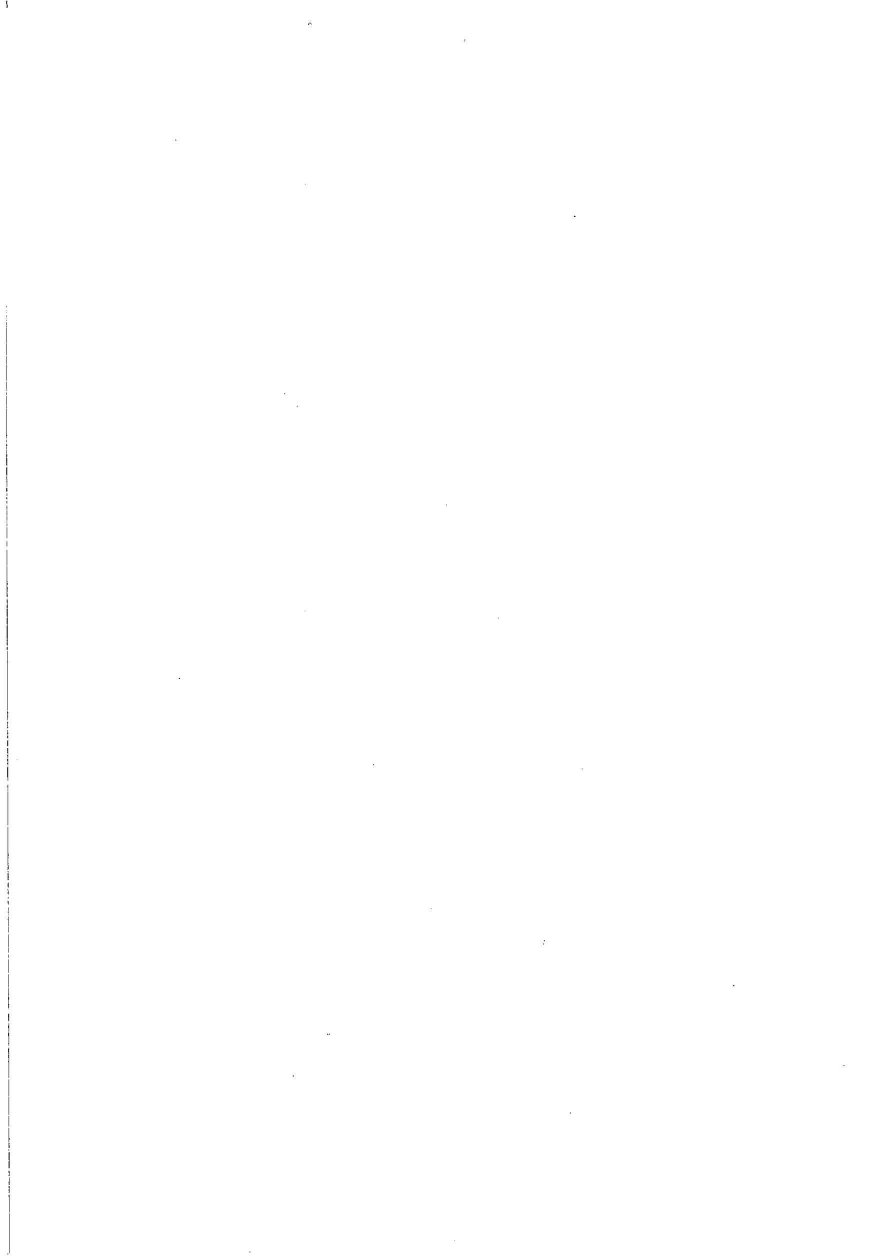
هو لم يمت ما زال محتدما بصرخة مارد
يبكي التراب الضائع المخضوب نبع مواردي
فترقرقت مني الدموع على وصية والدي
أنـــا خنتهـــا
أنا خنت ماضي الجميـــل
وسمعت صوتا دامع النبرات مجروح الحنان
هو صوت امي الوادع المعبود دغدغ مسمعي
كحلاوة الماضي .. كانسام النخيل الممرع
كخديجتي تندس في قلبي .. تبيت باذرعي
هو ما يزال يرن في روحي .. ويحتضن ادمعي
بهتافة للعودة الخضراء لخضر مزارعي
لربيعي المعسول في حضن الحنان الأروع
فأجيت يا اماه باسمك لن اخون مرابعي
أماه باسمك لن أخون مرابعي فلقد رميت الى
الجحيم قواعدي
سأعود في زمن الحصاد مع ابتسام الزارع
لا بد يا أمي وان طال المدى
فلهيب صوتك ما يزال يموج .. يحرق اضلعي

هو ما يزال حقيقة ملء الحياة
ما زال محتضنا نداه.

أُغنياتٌ للفجرِ القادِم

يَا أصْدقائي السَاهِدين
يَا أيّها المتلهّفونَ إلى الصّبَاح
لا تَـيأَسُـوا
إن طَالَ ليَـلكمو
وَعَربَدَت الجِرَاح
لا تَـيأَسُـوا
اللّيـل يَعقبـه الصَّبَاح

خالد زغبيه



اذا كان الناقد «ستيفن سبندر» يعرف الشعر العظيم بانه ذلك الشعر الذي يتأمل العالم والانسان والقوانين الاجتماعية والسياسية التي تسيره، فيما يظل يتساءل حائرا: لماذا؟! لماذا تجري الأمور على هذا النحو بينما كان من الممكن ان تجري على نحو آخر؟

اذا كان «سبندر» يفهم الشعر على هذا النحو. ويجد له انصارا ودعاة ومؤيدين، فإن تعريفه هذا لم يجد له اي صدى عند شعرائنا الليبيين وان كنا نستطيع أن نجد بصمات هذا المفهوم عند كثير من الشعراء العرب الذين ارتبكوا طويلا وظلوا يتساءلون ويكتبون قصائدهم الحائرة بالحبر الرسمي حتى تجاوزتهم المرحلة، وسقطوا من ذاكرة التاريخ وتناثرت حروف قصائدهم من صفحات دواوينهم الأنيقة، وذابت تحت وهج

الشمس المحرقة، لأن احدا لم يكن يحتاج اليها، فقد كانت مجرد اسئلة، ولم يكن ثمة احد في وطننا يحتاج الى السؤال قدر حاجته الى الاجابة واذا كانت هذه الظاهرة قد ميزت ابداعات مجموعة كبيرة من شعراء الوطن العربي، فان الشعر الليبي قد استطاع ان ينجو من الوقوع في كابوس هذا المفهوم. كما استطاع منذ البداية ان يرسم طريقه ويحدد رسالته ليظل ذلك الشعر الذي تمليه الجماهير وتشارك في كتابته، فالشعر الليبي الحديث هو شعر الموقف والانتماء وهو الشعر الذي عبر دائما وباستمرار عن قضايا هذا الشعب وجسد طموحاته، ووقف معه ضد جلاديه، وسالبي حريته، ولعلنا من اجل ذلك نستطيع ان نلاحظ بوضوح تام انهماك الشاعر الليبي بصورة تكاد تكون كاملة في التعبير عن القضية الوطنية بشكل ادى الى انحسار القصائد الذاتية وقصائد الموضوعات العامة بصورة ملفتة للنظر، الأمر الذي تصبح معه الكتابة عن هذا الشعر مهمة عسيرة وشاقة فاغلب النماذج الشعرية تظل متشابهة تحمل ايقاعا واحدا. وتعانق قضية محددة، حتى لتصبح دواوين الشعر مجرد ملحمة وطنية، اشترك في كتابتها مجموعة من الشعراء من ذوي الموقف الواحد، وذلك امر فرضته المرحلة التاريخية التي يمر بها شعبنا

وقد كان الشاعر مطالبا اكثر من اي انسان آخر باتخاذ موقف تجاه ما يجرى، ولم يكن من الممكن ان يتخذ الشاعر اي موقف آخر سوى الانتماء للجماهير والتعبير عن رفضها للاستعباد والقهر وحلمها الدائم بالثورة، والحرية، فالشاعر يكتب شعره للجماهير وهو يدرك ادراكا تاما ان الجماهير لن تقبل ذلك الشعر الذي يتمرغ في اوحال الاحساسات الذاتية المجردة والمفصولة عن حركة المجموع، ومن اجل ذلك فاننا نادرا ما نلتقي بالشاعر العاشق، الذي يكتب عن الحب في صورته المجردة، او يصف مظهرا من مظاهر الطبيعة او يتناول غرضا من الأغراض المعروفة في الشعر العربي قديمه وحديثه، صحيح اننا قد نجد بعض القصائد العاطفية المجردة لخالد زغبية او علي الفزاني او علي الرقيعي لكن هذه القصائد تظل في اغلب الأحيان ممزوجة باحساسات الشاعر الوطنية حتى لتتحول القصيدة في نهاية المطاف الى رمز واضح للأرض والوطن والجماهير هذا هو المدخل الذي ارتأيت ان انفذ من خلاله الى ظاهرة الحلم بالثورة في شعر واحد من شعرائنا الكبار هو «خالد زغبية» الذي اصدر ثلاثة دواوين السور الكبير- اغنية الميلاد- غداً سيقبل الربيع. ويمكن لنا ان نلاحظ عنده دون سواء غلبة

القصائد الرومانسية الذاتية، التي تبدو غريبة وسط صفحات الديوان الأول «السور الكبير» وكأنها احتلت مكانا غير مكانها، ذلك ان صدق الشاعر وعمق تجربته الشعرية، الابداعية لا تتضح وتنضج الا من خلال تلك القصائد التي يحاول فيها تلمس قضايا الجماهير والتعبير عن آمالها وطموحاتها وحلمها الدائم بالانتصار، اما القصائد العاطفية فقد ظلت مجرد قصائد تجريبية قد نجد داخل سطورها اقنعة لوجوه متعددة من الشعراء لعل اقربهم الى ذاكرتنا نزار قباني او فدوى طوقان او عبد الوهاب البياتي بحيث نظل نبحث عبثا عن شخصية الشاعر واستقلال تجربته.

والذنب هنا ليس ذنب الشاعر بقدر ما هو ذنب المرحلة فقد كان الشعر العاطفي ينمو في ظل تجربة انفعالية مزيفة لأن الظرف الاجتماعي لم يكن يسمح بنمو العلاقة العاطفية وسط مناخ يسمح للمحبين بخوض التجربة والانفعال بها انفعالا خلاقا، ومن أجل ذلك تظل القصائد العاطفية مجرد قصائد من الذاكرة لا تقدم جديداً، ولا نستطيع من خلالها تحديد معالم تجربة انسانية مميزة عن غيرها من قصائد العشق المعروفة في الأدب العربي قديمة وحديثة.

واذا كان (علي الرقيعي) قد حاول أن يكثر من الرموز التي تجعل من الحبيبة في نهاية المطاف وطنا وأرضا وقضية، فان خالد زغبية قد حاول ان يجزىء تجربته الابداعية فكتب قصائده الخاصةللوطن كما كتب قصائده الخاصة بالحبيبة، كل منهما على حدة، فاستطعنا من خلال هذا التقسيم ان نتعرف على زيف وسطحية قصائده العاطفية، وان كنا قد اكتشفنا في شعره وجها آخر للشاعر المناضل الذي يحمل الوطن في قلبه اغنية متواصلة لا تنفك تردد نداءات الحرية والحق وتطالب بسحق العملاء والخونة وبقايا الاستعمار، وتحلم بالفجر القادم الذي يوقظ في أعماق الجماهير كل احساساتها الدفينة ويأخذ بيدها الى مستقبل مشرق حلمت به طويلا دونما كلل او ملل، وهو ما دفع سلطات العهد الملكي المنهار الى مصادرة ديوان الشاعر الأول «السور الكبير» ومنع تداوله، وبذل المحاولات الهائلة لخنق صوت الشاعر بهدف ابعاده عن قضيته وتحويله الى مجرد شاعر من شعراء السلطان، ولعل ابرز محاولات القهر التي تعرض لها الشاعر هي ملاحقته قضائيا والحكم عليه بالسجن وطرده من الجامعة عندما نشر قصيدته المشهورة «بلادنا»، لقد هبت كل اجهزة العهد المباد في وجه الشاعر مطالبة برأسه، لأنها احست

ان قصيدته تلك تهدف الى ايقاظ ذلك العملاق النائم في اعماق الجماهير ولم يكن ذلك العملاق سوى الثورة، التي تزلزل العرش وتجتث بذور الفساد والطغيان، ومن اجل ذلك بذلت المحاولات المستمرة لاسكات الشاعر وخنق صوته، لكن هذه المحاولات لم تؤت ثمارها وظل صوت الشاعر يجلجل في الأفق، يدين القمع والاضطهاد وكبت الحريات، ويطالب بدك ذلك السور الكبير الذي اقامته سلطات العهد الملكي العميل في محاولة يائسة لعزل هذا الشعب عن تيارات الحرية والتحرر التي كانت تنساب الى كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير وخالد زغبية كما يقدمه لنا زميله الشاعر (علي الرقيعي) (شاعر ينضوي تحت لواء مجموعة من الشعراء الشباب الذين يحاولون باخلاص تعميق المفاهيم الانسانية للشعر العربي المعاصر، ويعملون من اجل ان يكون الحب والحرية اساسا لعلاقات الانسان، وقد اهتم مع زملائه الشعراء بالعديد من قضايا الحرية وكفاح الشعوب ضد الاستعمار والتخلف وضد جميع المحاولات القذرة التي يرتكبها اعداء الانسان لربط مصير الملايين باغلال العبودية)[1].

---

(1) السور الكبير ـ شعر خالد زغبية ص 66

لقد استطاع علي الرقيعي ان يقدم لنا مضمون التجربة الابداعية عند هذا الشاعر بصورة مختصرة، أما التفاصيل فإننا لن نعجز عن ايجادها في كثير من مواقف الشاعر وقصائده التي تحاول دائما ان تؤكد عمق ارتباطها بالجماهير، وتسخيرها في الدفاع عن حقوق الوطن المسلوبة وتعبيرها الحقيقي عن طموحات المواطن وحلمه الدائم بالحرية والانعتاق النهائي من سيطرة العملاء والجلادين وبقايا الفاشيست والخونة.

وككل شاعر ثائر متجرد تبدأ رحلته على درب الكلمة بإدانة كل المفاهيم القديمة التي سخرت الشعر لخدمة اغراض فجة لا تخدم سوى الطموحات الشخصية لأولئك الشعراء الأبواق الذين فقدوا كل شي واخذوا يتمرغون على بسط السلطان الوثيرة ويجلجلون بشعر فيه كل النفاق والدعة والاستسلام، ومن هنا تأتي انطلاقة الشاعر ادانة لشعراء البلاط، ورفضا لكل مفاهيمهم المريضة في محاولة لاعطاء الشعر مفهوما جديدا يكرسه كسلاح فعال في معركة الانتصار على التخلف والقهر والاستعباد ويدفعه الى الارتباط الدائم والفعال بالجماهير، بحيث يجسم كل طموحاتها وآمالها ويضي لها الطريق كي تزحف نحو هدفها العظيم وحلمها المقدس.

«للشعر جلجلة القوافي والبحور»/وفخامة التعبير عن معنى خطير/كالمدح، او كالنوم ما بين القبور/ظلت (فحولهمو) تردد في حبور/ اسطورة القى بها التاريخ في كهف الدثور/ ومضت «عجائزهم» تندد بالجديد/وتكيل انواع السباب للنيل من شعر الشباب/ كيما تعطل ركبنا الساري العتيد/ كيما تعرقل شعرنا النامي الوليد/كيما تميت.

في شعرنا الجبار الحان النضال/ من اجل ان يخلو المجال/ لفخامة التعبير عن معنى خطير/

هكذا يبدأ الشاعر رحلته على درب الكلمة، ثائرا يزلزل كل المثل الزائفة والمفاهيم التقليدية والأفكار المتشنجة المريضة والعلاقات الاجتماعية الظالمة، وهي رحلة تشكل مرحلة انطلاق مهمة لدى شاعر قرر ان يخوض تجربة الخلق الشعري عبر منافذها الوعرة ومسالكها الشائكة، ولأن ذلك يتطلب وعيا حادا بابعاد الواقع الموضوعي، وتبصرا ايجابيا بكل ابعاد المرحلة التاريخية التي يمر بها شعبنا، فان الشاعر يقتحم معركته مسلحا بكافة الأسلحة التي تمكنه من القيام بدوره في تعبئة الشعب وتحريضه على الثورة والانقضاض على ذلك البنيان المتداعي

الذي يمثله نظام عميل يستبعد الجماهير من حسابه ويعتمد اعتمادا كليا على القوى الأجنبية من اجل الحفاظ على ما تبقى من اسسه المتهالكة وهكذا اقتحم الشاعر المعركة وهو لا يزال طالبا في كلية الآداب عندما نشر قصيدته الشهيرة «بلادنا» بجريدة (فزان) سنة 1958 وما ان نشرت القصيدة حتى هبت العاصفة في وجه الشاعر واستشعر طغاة العهد الملكي العميل خطورة ان يواجههم شاعر صغير من ابناء الشعب بجرائمهم عبر احدى منابرهم الاعلامية الرسمية فكان ان صدر قرار بطرد الشاعر من الجامعة وتقديمه للمحاكمة حيث حكم عليه بالسجن، لكن قصيدة خالد زغبية، انتشرت بين الجماهير، وتلقفها القراء في شغف لأنها كانت تعبيرا صادقا عن احساساتهم ومشاعرهم وتلمسا حقيقيا لقضاياهم ومشاكلهم، لقد كانت تتحدث، عن ثروات هذا الشعب المنهوبة وحقوقه المسلوبة، تتحدث عن فقر أبنائه والقهر والطغيان الذي يعيشون في ظله، وتصرخ في وجه سارقي قوت الشعب وجلاديه، تذكرهم بان العملاق النائم سوف يستيقظ يوما ليسحق كل الطغاة واللصوص والخونة، ويدمر كافة الأسوار التي اقامها حكام العهد المباد من اجل ان تحجب الضياء عن عيون ابناء

هذا الشعب العظيم . ان قصيدة «بلادنا» هي من اروع قصائد خالد زغبية ، ولا ادري لماذا خلت كل دواوينه الشعرية من هذه القصيدة التي تعطينا صورة حقيقية عن تلك المرحلة القاتمة من تاريخنا وتكشف عن النمو المتواصل لبذرة الثورة في اعماق جماهيرنا :

بلادنـــا غنيـــة
وشعبها فقيـــر
يقتات بفتـــات
موائد الدخيل!

* . . * . . *

بلادنا غنية ، لكنها بخيلة
بخيلة كالنخلة العوجاء
حيث تـلقـي بالثمر
الى مدى بعيد
لكنها نحن بنوها البؤساء
بنوهـــا الفقراء
ليس لنـــا نصيب

من طلعها النضيد!!

❊ . . ❊ . . ❊

بلادنا رحيبة
فسيحة الارجاء
لكنما تحوطها الاسوار
لتحجب الضياء عن عيون
بنيها البسطاء
أولئك الذين يكدحون
في الصبح والمساء
ويسهمون في بناء
صرح السلام والاخاء
بلادنا غنية
لكننا نحن بنوها البؤساء
بنوهـــا الفقـــراء
ليس لنا نصيب
من طلعها النضيـــد

هكذا ولدـ خالد زغبية كشاعر، وككل الشعراء الصادقين

وجد امامه السجن والتجويع، واسواط الجلادين وكلاب السلطة الملكية تحاول نهش لحمه وخنق انفاس الحياة في اعماقه، ولو اختار الشاعر ميلادا آخر اسهل، لظل ينعم بالراحة والخمول والثروة دون ان يلاحقه احد، فيعيش مطاردا ومحروما من كل حقوقه كانسان وكمواطن من ابناء هذه الأرض التي يعشقها ويحلم بذلك اليوم الذي تستطيع فيه ان تحطم قيودها وتنتزع حريتها وتطهر ترابها من دنس العملاء والخونة لكن- خالد زغبية- اختار ان يكون هذا الشاعر الذي يمتشق سلاح الكلمة الشريفة، الصادقة، الملتزمة، ويشرعه في وجه الطغاة واللصوص والجلادين والخونة وليكن ما يكون..

لقد حمل الشاعر قضيته في اعماقه، وظل يذود عنها، ويبشر بها ويقاتل في سبيلها ولم يكن ثمة شيء يخفف من وطأة الرحلة الشاقة سوى احساسه بان كل الذين يقفون ضد الطغيان والقهر، وكل الذين يؤمنون بهذا الوطن حرا وعزيزا انما يقفون الى جانبه، ويختارون نفس الاختيار الذي اختاره، ومن اجل ذلك فهو يجسد احساسه بالطمأنينة والفرحة في تلك القصيدة التي يهديها الى- الذين وقفوا معي صفا واحدا في سبيل الكلمة الحرة..

وفي هذه القصيدة لا يتحسس الشاعر جراحه الخاصة، ولا يستكين لوطأة الاحساس المدمر بالهزيمة والضعف، ولا يغرق في متاهة الاستسلام والمذلة ولا ينحني امام العواصف الهوجاء التي تحاول خنق صوته، وتثبيط عزيمته، بقدر ما يجد في كل هذه الهموم والمآسي دافعا حقيقيا له ولبقية المؤمنين بحتمية انتصار الانسان على هذه الأرض، الثورة، وللأمل في الفجر القادم.

الليل يعقبه الصباح
يا أصدقائي الساهدين
يا ايها المتلهفون الى الصباح
لا تيأسوا
ان طال ليلكمو،
وعربدت الجراح
لا تيأسوا
فالليل يعقبه الصباح

* .. * .. *

يا اصدقائي الطيبين

بالأمس قد نصبوا الشراك
حولي، لقد نصبوا المصائد والشراك
ثم اطلقوا غربانهم
في اثر صقري، للفضاء
في اثر صقر لا يروم
لحم الضفادع والخنافس والجراد
ومضى غرابهم اللعين
بالبين، ينعق والخراب
لكنما صقري الجسور مضى
يحلق في السماء
يعلو، ويعلو فوق غربان الفناء

ان الشاعر يمتلك حساسية خاصة ينطوي عليها وجدانه،ـ وهذه الحساسية هي التي جعلته يتأثر لتوه، ويهتز ويرتعش امام كل مشهد للبؤس في بلاده، مهما كان صغيرا وضئيلاً، فالرصيد الثقافي الذي يمتلكه، والفكر الثائر الذي استوعبه في دراساته المضنية دفع به الى ان يتملى في ملامح الناس وهم يضطربون في مجتمعه، فهو في مشاهدته للبؤس البشري، لا يمر

عليه، مر الكرام ولكنه يستوقفه محاولا معايشته والغوص في اغواره وفي هذه الأثناء يعمق احساسه به، ويجد فيه انعكاسا لثوريته الفكرية التي تنكر القهر، وتثور على البؤس والظلم، ويعكس هذه التجربة في ابياته الشعرية ويخرج منها اشد حماسا لثقافته الانسانية التي وجدت مصادرها في الواقع الحي المتحرك امـــامـــه [1].

خجل ان يصمت الحرف..
فلا يشدو
بعذب الامنيات
او يصوغ الشمس آمالا...
واحلاما ونجوى
يفرش الدرب ربيعا..
وفراشات وسلوى
للأزاهير الندية
التي ما عرفت للخوف معنى

(1) مفتاح السيد الشريف ـ مقدمة ديوان السور الكبير

لا . . ولا للحقد لونا
انِ هذا الحرف جزء من حياتي
واغتيال الحرف حرا
هو من صنع الطغاة
فلماذا يصمت الحرف على صنع الطغاة؟!

حقا، لماذا يصمت الحرف، وقد خلق ليكون اداة من ادوات التعبير عن احساسات الانسان ومشاعره؟! وما هي جدواه ان لم يكن صرخة في وجه الظالم، ونشوة بتحقيق الانتصار على الطغاة وفرحة بالصباح الجديد، ما هي جدواه ان لم يكن انعكاسا لطموحات الجماهير وتلمسا واعيا وايجابيا لقضاياها وهمومها وتحريضا مستمرا لها على انتزاع حقوقها، واسترداد حريتها. ما جدواه، ان لم يكن حلما بالفجر القادم، واغنية متواصلة للوطن وارتباطا دائما به. . ؟

ولقد كان الشاعر مخلصا لكل هذه المفاهيم، مؤمنا ايمانا تاما بكل هذه القيم النبيلة التي يصنعها الحرف ويمثلها. . ولم تكن معركة الحرف بالنسبة اليه معركة عشوائية لا طائل من ورائها لقد كان يؤمن دائما بان المعركة مهما طالت فان غبارها سينجلي

عن مستقبل سعيد، وصباح معطر بالأمل، وغد منعم باسم، ومن اجل ذلك يكتب قصيدته- اغنية الى جيشنا الليبي- بتاريخ 9 أغسطس 1959 م، وفيها يخاطب الجيش في صراحة ومباشرة بانه قارب الانقاذ الوحيد الذي بامكانه ان ينقذ الوطن من كل مآسيه وهمومه ويطهر الأرض من مغتصبيها. ويخلص المواطن من جلاديه وسالبي حريته..

يا جيشنا الليبي.. يا امل القلوب
يا رائد الشعب الحبيب
يا جيشنا الليبي .. يا طوق النجاة..
يا قارب الانقاذ في ليل الغريق..
غرقانا في بحر الظلام يصارعون
موج العذاب، يصارعون
ويلوحون
لك من بعيد
فاسرع الى الانقاذ
يا طوق النجاة
وانسف قلاع الليل،
يا املي الكبير

وهكذا تحول حلم الشاعر الى صرخة، واصبح الأمل مطلبا ملحا، وكان لا بد ان يستجيب الاحرار في هذا الوطن الى نداء الجماهير المتواصل. . الذي يطالب باكتساح كل صور التخلف والقهر والاستعباد التي تملأ ارض الوطن، وكانت شرارة الفاتح العظيم، انتصارا رائعا لارادة الجماهير وتحقيقا لاحلامها، ونهاية لاشد المراحل تعاسة في تاريخ هذا الشعب. وكان صوت القائد وهو يزف البشرى، ويعلن انحسار الظلام. وميلاد الفجر، بداية لمرحلة مشرقة في تاريخ هذا الشعب ولعل ابرز صور اشراقها ما نشهده اليوم من انتصارات عظيمة، قادتنا الى عصر الجماهير، ومكنت الشعب من امتلاك السلطة والثروة والسلاح ليشهد التاريخ تحقيق حلم الشعب السيد، على هذه الأرض الطيبة التي قدمت دوما وعلى مدى التاريخ ابرز صور الصمود والتضحية والفداء. .

السفر إلى مرافئ الثورة ..

أَيُّ أُمٍّ بكَ حبْلى ؟
أَيُّ صلب يَحتوي السِّرّ الدَّفين ؟
أيّها التّاريخ حَدِّث
اننَا كُنّا انتِظارا وَاحتِراقا
لِمَجيء النسر في الدّرب المهين

علي الغزالي



الكتابة عن شاعرية- علي الفزاني- مهمة شاقة، ذلك انه اغزر الشعراء الليبيين انتاجا وأكثرهم قلقا وقد لا اكون مبالغا اذا قلت بانه الشاعر الوحيد الذي ما زال يصارع اهوال التجربة الشعرية ويتحداها، ففي الوقت الذي خفتت فيه اصوات غالبية الشعراء، يظل صوته قويا شابا، كأنه يجسد بصورة ما . . اسطورة العنقاء التي تحترق فتولد من جديد، فالشاعر- علي الفزاني- يتميز عن بقية شعرائنا باختياراته المتعددة واصراره بعناد طفل نزق على تذوق كافة التجارب، وارتياد كل المسارب الوعرة والمناطق المجهولة، تساعده في ذلك ثقافة عميقة كونها الشاعر على مهل وفي دأب عجيب، ويسنده رصيد هائل من الشاعرية الدفاقة التي تنضج باستمرار وتتجدد عبر كل تجربة ابداعية جديدة، حتى ليصاب القارىء بالدوار والارهاق وهو

يتابع رحلات الشاعر المستمرة، وتحليقه الدائم نحو منابع الفن والالهام البكر. . وهذا ما يجعلني كثير التردد امام هذه الشاعرية الخلاقة التي يتميز بها- علي الفزاني- فالانسان لا يستطيع ان يكوِّن رأيا نقديا متكاملا وموضوعيا، عن شاعر يفر من بين اصابعه كلما حاول رصد خفقات قلبه وتحسس صدى تجربته، وتلمس منابع ابداعاته. . وبالرغم من ان- الفزاني- قد اصدر منذ مدة مجموعته الشعرية الكاملة الا انني ما زلت اعتقد انه لم يستكمل هذه المجموعة بعد؛ فالمجموعة الشعرية الكاملة تعني في كثير من الاحيان ان الشاعر قد استكمل رحلته في عالم الابداع وقال كل ما يمكن للشاعر ان يقوله تاركا مهمة تقييم تجربته للنقاد والقراء على حد سواء. . لكن الفزاني يختلف تمام الاختلاف عن اولئك الشعراء الذين يسارعون الى تعليب تجربتهم وسط صفحات من الورق المقوى، فشاعريته تتمرد على كافة اشكال الاقفاص والأسوار والعلب الكرتونية لتصنع ملامح تجربتها الخاصة وتشق طريقها المحدد وتستمر في العطاء الى ما لا نهاية، وهو ما يدفعني الى الاحساس اكثر من مرة بأن الفزاني ما زال يطمح الى ان يكون ذلك الشاعر الذي ينشده، ان قصائده تمتلىء بهذا المعنى وتقود الى هذا الاحساس، وتجربته

القلقة تؤكد هذا المفهوم وتدفع الانسان الى الاقتناع به كل الاقتناع. .

لقد اقتحم ـ الفزاني ـ عالم الابداع الشعري بكثير من التردد والخجل وعدم الثقة في النفس حتى انه تقبل مواعظ ـ صادق النيهوم ـ بكثير من الغبطة والسرور، بالرغم من ان ـ النيهوم ـ لم يقل كلاما مجديا عندما قام بكتابة مقدمة ديوان الشاعر الأول ـ رحلة الضياع ـ لقد جاءت المقدمة مجرد تقرير مليء بالبديهيات الغارقة وسط ركام من التلاعب اللفظي والحذلقة اللغوية، ولست هنا في مجال التعليق على مقدمة الأستاذ ـ صادق النيهوم ـ لكنني اود ان ألاحظ بأن شاعرا ـ يملأ جرابه بقضايا الفلسفة والصراع الدائمين [1] . . سيدفعنا الى تتبع مسار تجربته سواء كانت هذه التجربة من مدينة بنغازي او غيرها من مدن العالم، فالتجربة الانسانية في الشعر لا تعترف بحدود جغرافية معينة، ولا اعتقد ان ذلك يخفي على الاستاذ الناقد، لكنه أبى الا ان يقدم لنا ـ علي الفزاني ـ هذا التقديم السيىء الذي لا يجعلنا نتعرف على الشاعر بقدر ما يملأ جرابنا بمقولات لا تفيدنا في

---

(1) مقدمة ديوان رحلة الضياع ـ صادق النيهوم.

قليل او كثير ولعل هذه الأمثلة من مواعظ الأستاذ الناقد لشاعر ما زال في بداية الطريق ـ في ذلك الوقت ـ خير دليل على ذلك . .

ـ والشعر لعبة كبار السن ولا بد ان يتعرف عليه الصغار بالتدريج، ولا بد ان يضطروا في البداية الى الزحف على ركبهم فوق تراب احدى القرى . . فالرحلات الجيدة تحتاج الى قدمين صلدتين مغامرتين، وتحتاج الى الخبرة بمعالم الطريــق، والفزاني ما زال يجرب حظه بوسائل اقل اصالة، واذا كان الشعر الحديث كما قال ـ جوته ـ يغش حبره بكثير من الماء، فإن المرء لا يتوقع ان يجد أحد المبتدئين النسبة الصحيحة في اول تجربة . . وميزة التجربة انها تأتي هذه المرة من مدينة صغيرة اسمها بنغازي، واذا كان الألمان يقولون: انه من حسن الطالع ان يكون المرء شاعر القرية، فأنا اعتقد انه ليس من حسن الطالع ايضا ان تظل القرية مجرد قرية .

مثل هذه المواعظ جعلت من مقدمة الأستاذ النيهوم جدارا صلبا وحاجزا كثيفا منعنا من رؤية ملامح الشاعر الخاصة وتحديد ابعاد تجربته الشعرية ثم اتى الشاعر بعد ذلك ليضيف بضعة احجار لهذا الجدار باستسلامه الغريب لمثل هذه التقريرات

وفرحته بها. .ـ وبعد قليل سيأخذـ صادق النيهومـ قلمه، وسيكتب عن هذه الكلمات من على بعد ستة آلاف ميل، وأنا اثق بكاتبنا الكبير الى ابعد الحدود، لا من اجل صداقتي به، ولكن لأن صادق يكتب كلماته طارحا كل الاعتبارات، وقد علمني هذا الكاتب الرائع الكثير في المدة القصيرة التي عرفته فيها، ولأن ـ صادق ـ لا يعرف المجاملة، وستصدقوني اذا علمتم انه اختار ثلاث عشرة قصيدة حتى الان من مجموعتي الكبيرة وتردد كثيرا قبل ان يوافق على كتابة المقدمة الصغيرة، وبين يدي الآن رسالة يقول فيها: ـ وما الذي يضمن لنا اننا لن نرتكب اخطاء حاسمة[1].

لقد كان امتثال الشاعر لتعليمات الأستاذ النيهوم، والتزامه المطلق بها بداية لمتاهته المؤسفة، بداية بعقدة اللون وانتهاء بالتمز والعنتزيات ـ والسيزيفية غير المبررة، والرحلات المتواصلة حيث لا مستقر، لم يقل له النيهوم ان الرحلات الجيدة تحتاج الى قدمين صلدتين مغامرتين، لقد أراد ان يؤكد قدرة قدميه على الرحلة، لكنهما

(1) نفس المرجع السابق

نحفتا دون ان يحقق نتيجة مجدية لقد قادتاه فقط الى تكرار غيره من الشعراء، دون ان يلتفت الى ذلك المخزون الهائل من الشعر والموهبة الخلاقة التي تمتلىء بها اعماقه ولعلني هنا أخرج عن موضوع هذا المقال باثارة لنقاط تحتاج الى دراسة مستقلة قد تبعدنا عن موضوع هذه الدراسة التي تركز جل اهتمامها على ظاهرة الحلم بالثورة في شعر علي الفزاني وبالتالي فان الملاحظات السابقة تظل مجرد احساس بقيمة هذا الشاعر وبحاجتنا الى دراسة شعره ووضعه في مكانه اللائق به بين شعرائنا الكبار وهو ما يحتاج اليه جميع الشعراء في بلادنا على حد سواء، ان ندرس شعرهم وان نقدمهم للجماهير وتلك هي وظيفة الناقد الحقيقية شرط ان يضع في اعتباره قول- ازرا باوند-: انه يبدو من المستحيل ان يكتب بدقة علمية عن الشعر والنثر عموما ما لم يكتب الانسان اطروحة عن فن الكتابة واضعا في الحسبان التعريف الدقيق لكل كلمة كما لو كان يكتب مقالا عن علم الكيمياء...

* .. * .. *

لعل في استطاعتنا ان نؤكد باديء ذي بدء تلك المقولة التي تقدم لنا فريقين من الشعراء لا ثالث لهما، فريق يواجه الواقع

مواجهة الانسان الضعيف المتخاذل البائس، وفريق آخر يواجه هذا الواقع مواجهة فيها الكثير من التحدي والمواجهة والاصطدام المستمر بكل ما يمتلىء به هذا الواقع من اشكال التخلف الانساني، بحيث يظل الشاعر في سعي دائم وترقب مستمر لتلك اللحظة التي يستطيع فيها ان يتجاوز واقعه، ويخلق عالمه المستقبلي الخاص المليء بكل صور الاشراق والانطلاق الى الأمام.

لكن هذين الفريقين حين يخلقان عوالمهما الخاصة فانهما كما يقول احد النقاد- يبتعدون عن الواقع العادي الذي نريده ونألفه، وكأنهم يقولون لنا: هذا هو الواقع الذي نريده، أما الواقع الذي تعيشون فيه انتم فلا شأن لنا به.. ووفقا لهذا يرى احد علماء النفس الكبار وهو- ثاولس- ان الخطوة الأولى نحو تعليل الابداع الفني سواء أكان ابداع قصيدة ام ابداع صورة ام كان غير ذلك، هي الكشف عما شهده الشاعر من نقص في بيئته وكيف دفعه شعوره بهذا النقص إلى تفقد الحل الذي يرضيه[1]..

والحق انه لكي يكون هذا الحل جديدا ومبتكرا، فاننا

---

(1) من كتاب الاسس النفسية للابداع الادبي. د. مصطفى سويف ص 917

نفترض منذ البداية ان يكون الشاعر على درجة كبيرة من الاصالة الفنية والصدق مع الذات فضلا عن الاحتكاك الحي والعميق بالواقع، لأن هذا يدفعه أولا الى ان يتخلص من تأثير الشعراء الذين كانوا يروون تعطشه الروحي في فجر حياته الفنية حين كان يدور في نطاق جاذبيتهم مقتنعا بما قدموه من حلول ترضيهم هم دون غيرهم - وتحقق لهم التوافق والتكامل وحين يستطيع الشاعر ان يتخلص من هذا التأثير، كأنه يتمرد على عوالم هؤلاء الشعراء، ثم يخوض بعد ذلك خلال تطوره الدائم فنيا وفكريا، سلسلة من الصراعات الشاقة مع قيم مجتمعه فيرفض منها ما يرفض ويقبل ما يقبل محاولا بذلك ان يشكل لنفسه ملامح عالمه الخاص المتميز [1]

ولقد استطاع الغزالي عبر معاناة شاقة، وانهماك طويل في البحث عن تجربة منفردة ان يجد معالم طريقه الخاص، وبالرغم من ان ضباب الاندفاع وراء تجربة الآخرين ما زال يكتنف هذا الطريق ليعيد الشاعر الى بداياته بين الفينة والأخرى، لكن التجربة الابداعية عنده تظل تنمو باستمرار

---

(1) اتجاهات الشعر الحر - حسن توفيق ص 11

وتتلبس طريقها نحو التميز والتفرد في أصرار عجيب وهو ما يملؤنا املا في ميلاد شاعر كبير على هذه الارض اكتسب شاعريته بصبر ومعاناة وكفاح مستميت لا يعرف الهزيمة ولعل توجهات الشاعر الاجتماعية والتزامه بالتعبير عن قضايا الجماهير هي أبرز جانب يمكن لنا من خلاله ان نكشف عن عمق التجربة الابداعية عند هذا الشاعر، لقد التزم منذ ان صدر ديوانه الاول ـ رحلة الضياع ـ سنة 67 ، بأداء دوره كشاعر مهمته تحسس قضايا وطنه، ورفض كل صور البشاعة والقهر والتخلف والاستعباد التي كانت تخنق ارادة الحياة في اعماق الجماهير..

وحروف الرفض، مولاي الامير
دمدمت كالرعد في قلب السحاب

فمحال ان أغني.. لتنام
فأنا السهر. . أنا وقع المصير

مات
في بغداد شحاذ القصور

ولان الشاعر قد اختار طريقه وقرر ان يتحدى الطغاة،

رافضا ان يظل مجرد مهرج في بلاط السلطان، لان الشعر قد ابتعد أن يكون كذلك منذ ان علت كلمة الجماهير واتسع صداها، واصبح الشعر سلاحا من اسلحتها تشرعه في وجه جلاديها ومغتصبي حريتها، ولان الشاعر قد انحاز الى هذه الجماهير باعتباره واحدا منها، فان الطغاة سوف يتخذون موقفهم المألـوف الذي يتخذونه ضد كل من يفكر في الخروج عن دائرة المفاهيم والعلاقات الظالمة التي رسمها لهم طغيانهم وهيمنتهم المطلقة على الانسان والتراب وماذا يمكن ان يكون هذا الموقف سوى مزيد من القهر للانسان والخنق المستمر لكل الطموحات الانسانية، واذا كانت التجربة تبدو قاسية بالنسبة لشاعر يحب الحياة، فان ما يطمئن الشاعر انه يعيش هذه التجربة باختياره ويقف في الجانب الاخر، جانب الجماهير المسلوبة الحقوق بمحض اقتناعه، لانه يدرك تماما ان النصر في النهاية سيكون حليف الجماهير مهما طال الزمن واشتد الكرب، واستتبت الأمور للطغاة. ولهذا فانه يصمد ويتحمل، يضمد جراحه ويواصل مسيرته وعلى ثغره ابتسامة للفجر القادم وفي اعماقه ينمو امل هائل في الغد المشرق..

صلبــوني فوق أعواد حقيرة

صلبوني والأميرة

تتسلى بدمائي.. بنزيفي:

وعلى الثغر ابتسامة

مثل جرحي. فاغراً يدمي ويؤلم

فخذيني انني بعض البقية

انني كل الضحية..

غير اني.. عدت يا أخت اغني

واغني

رغم صلبي

فوق أعواد حقيرة..

ولان الاغنية تأبى الا ان تتواصل وتمزق الحجب والاستار متغلغلة في اعماق الجماهير، مخترقة المسافات، معبرة عن احلام هذا الشعب وطموحاته لانها كذلك، فان سطوة القهر لا

بد ان تشتد، وسوط الجلاد لا بد ان يواصل مهمته، وغضب الطغاة لا بد ان يتحول الى ذلك النوع من الحقد الذي يشمل كل شيء وتتملكه رغبة في تدمير كل شيء ليحقق من خلال هذا الركام والانقاض طموحاته الدنيئة التي لا تتحقق الا اذا كان القهر والعسف قد استطاع ان ينهي دفقة الحياة في اعماق الانسان بشكل كامل.. وهنا يبرز دور الشاعر كمحرض جماهيري وكصديق للغد، كثائر من اجل الانسان والارض وكمبشر بالمستقبل القادم برغم عتمة الظلام واشتداد الكرب، هنا يتحول الشعر الى ملاذ لكل الشرفاء والصامدين، وتتحول الكلمات الى رصاص يخترق صدور الطغاة.. وتعلمهم بأن ارادة الشعوب لا تقهر، واشواقه الى الحرية والخلاص لا يمكن ان تموت، فالشعر في نهاية المطاف هو طريق الثائر وهو ليس طريقا سهلا بقدر ما هو مليء بكل ما يقلق الانسان ويعذبه.. لكن الاصرار على مواصلة السير في هذا الطريق يتواصل من اجل غاية واحدة تتجسد في ذلك الشوق المقدس، ليوم تتحقق فيه كل احلام الشعب وامانيه، وتطل اشراقة الفجر مبددة حجب الظلام الكثيفة الى غير رجعة...

وبشوق عبقري.. لا يموت

نقر الموجات، بصدى صرخات ولحون

عربد القيثار حينا

ايقظ الانسان اعطى

للحمي والحب هديا وفنون

ادمت الاشواق كفا. . عذب التحنان

قلبا

ورم السهد الجفون

ذاك درب الشعر آه يا صديقي

تلك طرق الثائرين

ليت انا بأسانا، لا نبالي، ليت انا غافلين

نحن نعطي الم الانسان منا كل شيء

نضرة الاعمار. . تبني ما تراهم يهدمون

نحن نسقي من دمانا، زهر التاريخ

شوقا لرجال في ذرانا يولدون

ويد الاقدار ترنو، ترصد الاحرار منا
ترصد الحر الامين

تلك كانت واحدة من قصائده تطفح بالامل، وتمتلىء بحلم الانتصار على تحدي الطغيان، وترصد حركة الجماهير ولحظات غضبها الصامت الذي لا يلبث أن يتحول الى زمجرة عارمة تدك عرش القهر والخيانة وتسهم في انبثاق شرارة النضال من أجل مستقبل مليء بالانتصارات واذا كنا نجد في جميع الدواوين الشعرية التي أصدرها الشاعر قبل ميلاد فجر الفاتح من سبتمبر العظيم كل ما نبحث عنه من صور مجسدة لحلم الثورة الذي كان يعيش أملا لا يخبو في وجدان الشاعر كفرد ينتمي الى جماهير هذا الوطن التي أرهقتها سياط الجلاد، وأدمت أجسادها أغلال القهر. اذا كان الأمر كذلك، بالنسبة لابداعات هذا الشاعر، فانه يأبى دائما الا ان يقدم لنا نفسه عبر تقديمه للمرحلة التاريخية التي يعيشها الوطن، فتصبح آلام الشاعر هي آلام الوطن، وتمزقاته هي تمزقات الجماهير، وأحلامه هي أحلامها وطموحاتها.... ان الذات تلتحم بالموضوع وتتحد به، ليصبحا نسيجا حيويا واحدا، ولتتسع كل عذابات الشاعر

الذاتية فتصبح بحجم الارض والناس، فلقد مل الشاعر الطواف وحيدا وأرهقته الرحلات المتواصلة، وهدته الاسفار التي ما أعطته سوى تجربة ذاتية محدودة الابعاد والمضامين. .

لكن هذه الرحلات نفسها قد أوصلته الى مرافىء الثورة في نهاية المطاف، وأعادته الى أحضان الجموع التي افتقدته طويلا ولن يتخلص شاعر من أحزانه الذاتية المجردة لينشد «ذلك الحزن الشيق المضيء على حد تعبيره-الا ليصبح شاعرا من شعراء الثورة. وتتحول قصائده الى أداة من أدوات التحريض على اكتساح ذلك النظام المتعفن الذي يعرقل انطلاقة الجماهير ويدنس أرض الوطن.

وانتظرناه طويلا. . .
وهجعنا فوق أشواك السنين
والتحفنا الموت جيلا اثر جيل
وظمئنا وتعرينا كثيرا
فارس التاريخ فينا لا يبين
سموات مكفهرات العشايا
وتخوم وسراب وظنون

أي أم بك حبلى؟..
أي صلب يحتوي السر الدفين؟..
أيها التاريخ حدث
اننا كنا انتظارا واحتراقا
لمجيىء النسر في الدرب المهين

يقول الشريف البـــدري كاتب تلك المقدمة الجيدة لديوان «الموت فوق المئذنـة» ان الشاعر المعاصر لا يغمس قلمه في نار مطفأة، فالشعر وهج لاحتراق داخلي يتجاوز كل صنوف التعريف له، ولذلك فهو مطالب دائما بان يحمل نبوءة العصر، مدليا بنصوص محرجة في اغلب الاحيان، لان الشاعر يموت برضاه وقناعته بعصره لان التاريخ لم يرفع الى ذرى الخلود غير الشعراء الثائرين والرافضين لرتابة الحياة المعاشة والشاعر لا يعبر عن الثورة، ولكنه يصنع قضايا الثورة ويعيشها وحقا لقد كان الفزاني كذلك حتى في احلك مراحل ضياعه وفرديته، وازماته الذاتية لقد ظل مهموما بقضايا امته، ولم يكن يفرق في كثير من الاحيان بين همه الخاص والهموم العامة ربما اخطأ في رصد اللحظة من الناحية الفنية لكن جوهر قضيته يظل نقيا وصادقا الى ابعد الحدود ولعل قصيدته «رؤيا من المعتقل» التي

نشرت بديوانه «الموت فوق المئذنة ، خير تجسيد لذلك الالتحام بين الهم الخاص والهم العام، وهي ترصد تلك اللحظة التي يتمثل فيها الشاعر انبل خصائص الابداعات الشعبية حين تتحد قصيدتان لشاعرين مختلفين تاريخيا وفكريا، لكن شيئا واحدا يربطهما اشد الارتباط هو ذلك القهر الذي يعانيه كلاهما . . اما الشاعر الاول فهو «رجب بوحويش» صاحب تلك الملحمة الشعرية الرائعة «ما بي مرض غير دار العقيلة» وقد قاله داخل اسوار المعتقل الرهيب الذي اقامه الايطاليون لابادة هذا الشعب الصامد . . والثاني هو الشاعر «علي الفزاني» الذي كان يعاني اعتقالا آخر يتمثل في تلك الصور البشعة من القهر والاستعباد التي كانت تميز مرحلة الحكم الملكي العميل . . . اللحظة اذن هي نفس اللحظة ، ولم يكن الاستعباد الاستيطاني الايطالي ليختلف في قليل او كثير عن الحكم الملكي الذي فرط في الارض وقهر الانسان واذله . وهنا يفلح «الغزالي» في كتابه اروع قصائده، واغناها بالمضامين الانسانية الرائعة .

يا شاعرا رأيته في المعتقل

دموعه تنهار

طفلته تقاوم الكفار

يا عمر المختار!
قم فرق التتار
(ما بي مرض)
رأيته على مشارف العقيلة
رأيت محنة القبيلة
وهتك تلكمو (الحليلة)
يا اخوتي مأساتنا ثقيلة
قصتنا طويلة طويلة
(ما بي مرض)

قد ضاعت الحقول
وجاءت التتار والمغول
ادق باب الموت
اقول له:
منتظر انا على السهول
في الصبح، في المساء، في الاصيل
(غوما) انا وفي الثياب من (سعدون)
السيف والقنديل...

هذه ملامح عابرة عن شاعر بحار، لا يمل التطواف والرحلة وقد كانت رحلاته الاولى ضياعا وحزنا والما ذاتيا ووجدانيا لكن رحلاته المتواصلة قادمة على مهل الى حيث ينبغي ان ترسو مراكب الشعراء العظام، الى مرافىء الثورة وهكذا تحول الشاعر الى مقاتل ومحرض وثائر، حتى هب فتية احرار من شباب هذا الوطن ليحولوا الحلم الى حقيقة وليصنعوا فجر الفاتح العظيم، وليحيلوا كل الامنيات التي كانت تمتلىء بها اعماق الجماهير الى حقائق واقعة ملموسة. . وكان صوت القائد وهو يعلن ميلاد الفجر، ويبشر الجماهير بانجلاء الغمـة وانقشاع سحب الطغيان، بداية لرحلة اخرى في تاريخنا، رحلة مليئة بالأمجاد والانتصارات رحلة ما اجدر الشاعر ان يسهم فيها وان يجسد معجزاتها، وان يقدم شعرا تجربة شعب سيد يمتلك السلطة والثروة والسلاح. .

ويعلن انبثاق عصر الجماهير، ويهدي للبشرية حلولا جذر ونهائية للمشكل السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

الشعر .. أغنية الجماهير

لَن يَموت الشّعب مَهمَا عذّبت آمَاله

أصوَات قيده

سَوفَ لَن يَفنَى وَان طَالَ الطّريق

إن في عيَنيهِ نوراً لَن يَغيب

لَن يَموت الشّعب حَتى لَو خبَت في قلبهِ نَار الكِفَاح

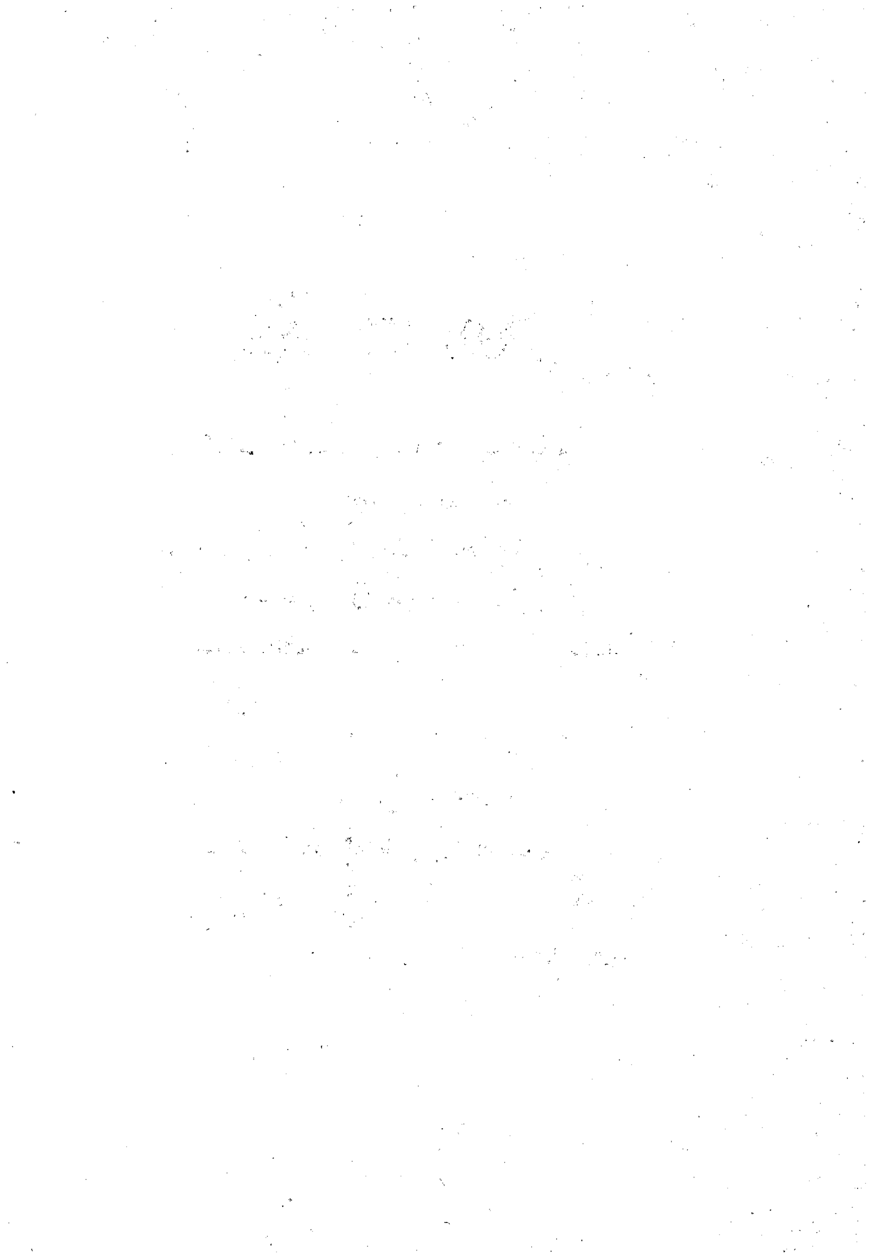
سَتَجيء الرّيح كي تذرو الرّمَاد

وَلهيب النَار يقسُو مِن جَديد

وَنشيد الثَأر في عرس النِضَال

وَيضيع الرّمس وَالطَاحُون وَالغول الكَبير

محمّد المطماطي



لماذ الشعر . . ؟ وما الذي يجعل للقصيدة هذه الاهمية المتعددة الجوانب منذ العصر الجاهلي حتى وقتنا الحاضر ؟ للاجابة على مثل هذه الاسئلة لابد لنا من استعراض التاريخ باكمله لنكشف في نهاية المطاف أن الشعر لم يكن في يوم من الايام حاجة فردية، بقدر ما كان احساسا جماعيا يتوجه الى الجماهير ، وتنطلق شرارته من خلالهم ليكون تعبيرا عنهم وتلمسا لقضاياهم ومشاكلهم وهمومهم ، صحيح ان (الذات) الفردية هي النبع وهي الاصل في كل ابداع ، ولكن من قال ان الفرد يمكن ان يكون شيئا له معنى بدون المجموع: وهكذا يمتلىء الانسان احساسا بقسوة الحياة او ببهجتها فيتجه الى التعبير عن ذلك الاحساس ولن يتوجه بحال من الاحوال الى شجرة أو نهر ، ان الانسان الاخر يظل دائما هدفه ومبتغاه وبهذه

الطريقة يمكن لنا ان نستبعد وجود شاعر يكتب لنفسه منفصلا بذلك انفصالا كاملا وتاما عن بيئته ومحيطه الاجتماعي ومن هنا تتحدد رسالة الشعر ، ويتضح دور الشاعر كمعبر عن طموحات شعبه ، وآمال جماهيره . فالقصيدة كما يقول الدكتور: عز الدين اسماعيل في كتابه الشعر العربي المعاصر تهدف الى التغيير من موقفنا ازاء شيء بعينه ، او تعدل هذا الموقف ، او تثبت لنا موقفا كنا قد اتخذناه، ولا يخرج هدف الشاعر نفسه من عمله الشعري الى اكثر من هذه الغايات والقصيدة الواحدة قادرة دائما على ان تحقق هذه الغايات المختلفة بالنسبة للافراد المختلفين فهي في الوقت الذي تغير فيه موقف بعض الافراد تعدل من موقف بعضهم ، كما تؤكد موقف آخرين .

وحصيلة هذه الغايات المختلفة هي خلق نوع من الانسجام في الموقف الجماعي بطريقة غير مباشرة .

وعلى ضوء هذا المفهوم سنحاول ان نتوقف قليلا امام تجربة ابداعية ناضجة اطلت على حياتنا الثقافية في أواخر الخمسينات ثم ما لبثت ان توارت واختفت في زحمة العمل الاذاعي فلم نعد نعرف مدى ارتباطها بالتجربة الابداعية ، ومواصلتها السير في

درب الشعر الشائك. تلك هي تجربة الشاعر (**محمد المطماطي**) الذي كتب مجموعة من القصائد الجيدة والملتزمة بالخط الوطني، رغم انها قليلة لدرجة انها قد لا تكون كافية لجمعها في ديوان شعري، ومع ذلك استطاع محمد المطماطي بهذه القصائد القليلة ان يصبح واحدا من ابرز شعرائنا المحدثين وهذا يعني ان تلك القصائد القليلة كانت كافية للتعبير عن المرحلة وتجسيم همومها وقضاياها عبر تلمس صادق وحقيقي لهموم الانسان على هذه الارض وهو يناضل من أجل الغد ويحلم باشراقة فجر الحرية، **ويقاوم عدواً شرساً ممثلاً في العرش العميل وأذنابه من الخونة وحماتهم من بقايا - الفاشست - وعساكر القواعد الأجنبية**، ومن أجل ذلك فانني سأحاول قدر الامكان تثبيت النصوص الشعرية بصورة كاملة، كما جاءت في كتاب الناقد والشاعر الفلسطيني (**معين بسيسو**) عطر الارض والناس في الشعر الليبي الحديث - ، وكما اوردها الشاعر خالد زغبية في كتابه ! صور من الشعر الليبي المعاصر - ذلك ان الشاعر (**محمد المطماطي**) لم يفكر في طباعة ديوانه حتى الان، ليكون في متناول الدارسين والقراء، ومن ثم فان ادراج هذه القصائد كاملة ضروري لتثبيت هذه النصوص وحفظها .

في قصيدة «سيذهب الغول» ينقل لنا الشاعر «محمد المطماطي»، عالما من الكآبة والحزن ، ويعطينا صورة مجسمة وواضحة عن الواقع التعيس الذي كان يعيشه المواطن في بلادنا، فالفقر ينشر جناحيه ليصبح غمامة تحجب عن النفوس ضياء الحياة والمرض يستفحل وينتشر ليخنق كل أمل ، ويغتال كل طموح ، ويقتل كل احساس بالحياة وكل تطلع الى الغد، الى المستقبل والانسان يظل حبيس هذين الغولين «الفقر والمرض» مكبلا بالقيود والاصفاد ، وطغاة العهد الملكي المباد يحافظون في استماتة على بقاء هذه الصورة البشعة بحيث يظل المواطن مقهورا مهضوم الحقوق ، لا يملك من امر نفسه شيئا والايام تمر والجماهير تبكي مصيرها ويتنامى حقدها على جلاديها وسارقي قوتها وحريتها ، والغول الكبير ، يستفحل خطره وتشتد قوته وعنفوانه، ويزداد طغيانه وجبورته ، والبشاعات والمآسي تزداد كل يوم حتى ليحس الانسان بان الجماهير تتململ وتتحفز ويتحول صمتها السلبي الى غضب عارم يحتضن في احشائه بذور انتفاضة مقدسة ويبشر باقتراب ميلاد الفجر بالرغم من كل التعاسات والقهر والطغيان.

عندما ترقص شمعة

ترسل النور احتضارات بليدة
عندما تولد في الاعماق دمعة
تصنع الاحزان في الروح الشريدة
تبعث الاصرار يجتاح المآقي
وبجسمي الف انسان يصيح
قد مضى الركب
وما زالت قيودك
حيث كانت
صلبة مثل الصخور
والجماهير المريضة
لم تزل في الرمس يخشاها الضياء
قد مضى الركب مع الحادي يغني
والجماهير المريضة
دائما تبكي على خاوى المصير
ثم لا امال في القلب الكئيب
لم تزل تلك الطواحين الشفيعة
تأكل الاحلام كالموت الفظيع

قد بدت يا ويحها الانفس حبرى
ليس تجديها زواياها الحقيرة
تنطوي فيها من الغول الكبير
كلها كانت تعاويد قديمة
كلها زيف وافكار سقيمة
لن يموت الشعب مهما عذبت اماله
اصوات قيده
سوف لا يغني وان طال الطريق
ان في عينيه نورا لن يغيب
لن يموت الشعب حتى لو خبت في قلبه
نار الكفاح
ستجيء الريح كي تذرو الرماد
ولهيب النار يقسو من جديد
ونشيد الثأر في عرس النضال
ويضيع الرمس والطاحون والغول

ان صور القهر والكآبة والاستعباد ، هذه الصور القائمة

المجللة بالسواد تتحول شيئا فشيئا الى نقيضها، وتظل ارادة الصمود والتحدي عنوانا بارزا يخترق قنامة المحنة ويمزقها فالظلم والاستعباد لا يستمر طويلا وان خيل للبعض انه ثابت الاركان ذلك أن اسسه هشة ، وقوائمه ضعيفة، وهو من اجل ذلك يستمد قوته واستمراره من قوى دخيلة لا يمكن ان تدوم .

لان ذلك ضد ارادة الحياة، وارادة الجماهير ، ان الاعتماد على قوى زائلة تتمثل في القواعد الاجنبية والخونة والمرتشين وبقايا فلول الفاشيست يظل بمثابة المقتل لاي نظام يعتقد ان مثل هذه القوى سوف تحميه وتسنده وتصد عنه هجمة الجماهير صاحبة الحق والسيادة، وبالتالي فان الشاعرينطلق من هذه المعادلة . . ويستظل بها، فالمستقبل للجماهير وحدها ولن يعيش نظام يستبعدالجماهيرويسقطها من حسابه. وان كافة المقولات والنظريات التي ولدت بعيدة عن الجماهير تظل عقيمة وقاصرة لان كل حقائق التاريخ الانساني تؤكد لنا، بأن الجماهير هي صاحبة الحق في كل شيء ، وبالتالي فليس من حق اي احد مهما كانت صفته ان ينوب عنها، أو يتكلم باسمها لأن استبعادها او اختصارها في حزب او طائفة او قبيلة لا يعني

في نهاية المطاف سوى شيء واحد . . هو الخيانة خيانة الجماهير والوطن .

ولقد غفل طغاة العهد الملكي المباد عن هذه الحقائق فاستبعدوا الجماهير من حسابهم . وخيل إليهم انهم باتوا يملكون كل شيء فخنقوا كل احساس بالحياة في اعماق الشعب وباعوا الارض لقوى اجنبية من أجل تحويلها الى قواعد دمار وتهديد للشعوب الآمنة وسمحوا لبقايا الفاشست ان يتمادوا في احتقارهم للمواطن ، وهيمنتهم على الارض والتراب وتخطيطهم الدؤوب من اجل تحقيق حلم اجدادهم الذي تحطم على صخرة صمود هذا الشعب ونضاله المستميت من اجل الحفاظ على عقيدة هذا الوطن وعروبته .

ان الشاعر يدرك تماما ابعاد هذا المخطط فيقدمه لنا في صورة شعرية مليئة بالغضب والثورة والتحريض على اكتساح هذا النظام العميل .

في بلادي نصبوا المرجل يغلي بالجريمة
ينفث الاعصار في أرضي
ويجتث الازاهير المطلة والاقاحي
والفراشات ، وكالطاغوت ، يجتاح

الاهلة

وكاسراب من الغربان، اشباح الجريمة

كلما حطت على ارضي الخصيبة

شيعت فيها جنازات السنابل

وبالرغم من ضراوة الأزمة واشتداد عنفوانها، وغرور المستبدين الذين باتوا يعتقدون ان الطغيان والقهر قد أخمدا شعلة الحياة الوهاجة في أعماق الجماهير، فان الشاعر ينفذ ببصيرته الى المستقبل ويملأ أعماقة بالأمل، ويتابع رحلته الشاقة على درب الكلمة الملتزمة رافضا كل المغريات، متجاهلا كل طموحاته الشخصية وأحلامه الذاتية، لان ما يؤرق وجدانه ويعذبه هو مصير شعبه ومستقبل أمته وحرية مواطنيه المسلوبة وحقوقهم المنهوبة.

أشتاق يا أختاه ان امتص نوار الخميلة

أشتاق أن تنساب في دفء الى قلبي المحبة

وأود لو شفتاي لاحرج علي تقبلان

خد الزهور ليرتوي ظمئي

لكنني يا أخت انسان يعذبه المصير.

ان مصير الشعب هو حلمه الوحيد وهاجسه المستمر، واذا كان ثمة عقبات ومصاعب خلقتها عوامل القهر والاستبداد، فإن زاد الشاعر الدائم هو الاصرار على اقتحام هذه المصاعب واكتساحها والنفاذ عبر عتمتها الى منافذ الضوء والأمل حيث تتوهج اعماق الجماهير غضبا وانتظارا لذلك اليوم الذي يتقرر فيه المصير وتتحطم الأغلال وتتلاشى خفافيش الاستبداد امام ضوء الفجر الساطع ويعيد الشعب صياغة التاريخ بصورة صحيحة، تنمحي فيها كل العلاقات غير العادلة وتتمكن الجموع من بناء علاقات جديدة، تحقق لها كل طموحاتها في ان تكون سيدة مصيرها وصانعة مستقبلها، دون ان ينوب عنها أحد أو تمثلها طائفة أو قبيلة أو حزب.

واحضن اليأس في أضلعي
أخاف على شمعتي أن تموت
وأدعو إله السماء الكبيرة
إلهي لتنمو لنا الف زهرة
لتشرق في القلب مليون نسمة
ومليون كلمة ومليون صرخة
تسقط من هولها الانجم

وتجفل من صوتها المرعد
وأصحو وفي الافق تاج الضياء
كأني وشعبي على موعد
نضم الى المجد كلتا اليدين

إن اهم انطباع يمكن لنا ان نخرج به من قراءتنا لقصائد الشاعر محمد المطماطي هو اصراره على اعطائنا كافة المبررات التي تدفع الانسان الى ان ينبذ عوالمه الرومانسية لينتمي بالكامل الى قضية الوطن وهمومه التي يعانيها. فهو لا يقع في فخ الرفض - الفلسفي - إنما يأتي رفضه نتيجة لتراكمات اجتماعية اقضت مضجعه وأقلقت وجدانه، وهو لا يعجز عن إيجاد الكثير من البشاعات التي لا يمكن للانسان الملتزم ان يقف منها موقفا محايدا.

والأرض يا اختاه في النزع الاخير

والكادح الفلاح بين اليأس والآمال
تنهشه جراحات السنين
يترقب الآفاق في جزع
اذا يوما تبسمت السماء

ان الرمز هنا يبدو واضحا، مليئا بالتلميح والمباشرة، لأن هذا الانتظار الذي يقلق الفلاح لا يمكن ان يكون مجرد انتظار للمطر، لأن الشاعر يشحن قصيدته بكل الصور التي تجعل من انتظار الفلاح للمطر ليس الا انتظارا للثورة، والا لما اضطر الشاعر للاتيان بهذه المفردات الدالة على القهر والمعاناة، وترقب الخلاص من كل ذلك، (فجراحات السنين) و«النزع الأخير» (واليأس والأمل) و«الجزع» كل ذلك يوحي بانتظار الثورة التي تقتلع كل هذه الهموم وتكتسح كل المنغصات التي ترهق الانسان وتعذبه.

لكن الشاعر الذي تعود على الاختباء داخل اردية الرمز يأبى إلا أن يصرخ في النهاية.

ولست أخاف على شمعتي

فشعبي سيرعى ويحمي الضياء

ويشدو بأغنية الظافرين

كاشفا بذلك عن انتمائه الدائم والمستمر للجماهير، معلنا بأن محاولات الطغاة من كلاب السلطة الملكية، لخنق هذا الشعب وكبت نداءات الحرية في اعماقه، ستبوء بالفشل لأن الانتصار هو لارادة الجماهير في نهاية المطاف..

وبرغم اشباح السراديب الطويلة
والدجون
ستضاء في قلبي شموع الظافرين.

تلك رحلة مع إبداعات شاعر حلم بالثورة طويلا، وبشربها في قصائده ومواقفه وغنى للجماهير أعذب أغنيات الحرية والانتصار، ويشاء القدر أن يكون «محمد المطماطي» ـمذيع ـ ذلك الفجر الذي انطلق فيه صوت القائد معمر القذافي ـ معلنا انقشاع الظلام وبداية عهد الحرية والسيادة على التراب وهي فرصة توفرت لمحمد المطماطي ولم تتوفر لغيره من الشعراء، فهل سيكتب قصيدة ذلك اليوم الذي سيحقق بعد ذلك كل هذه الانتصارات التي تشهدها كل يوم، بداية باكتساح العرش العميل وتطهير الوطن من العملاء والخونة والقواعد الاجنبية وانتهاء باعلان سلطة الشعب وميلاد عصر الجماهير وفصل السلطة عن الثورة، والحلول النهائية الرائدة للمشكل السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

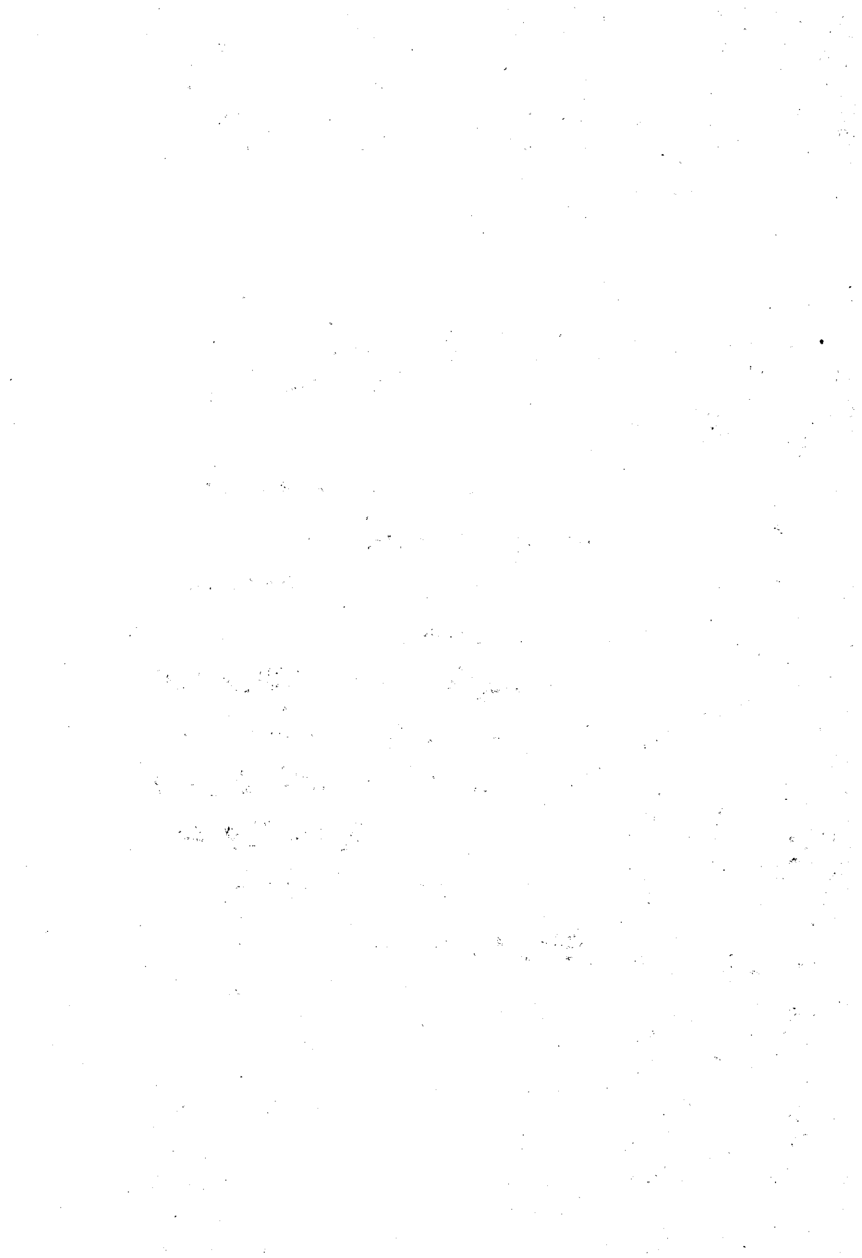
انني اعتقد ان «محمد المطماطي» هو وحده الذي يمكن ان يقدم لنا هذه القصيدة، الملحمة، لأنه الشاعر الوحيد الذي

شهد ميلاد ذلك الفجر العظيم ، ولا بد ان شرارته ما زالت تتقد في اعماقه ، ومن اجل ذلك فنحن في انتظار هذه القصيدة التي تجسم ميلاد الفاتح العظيم .

شاعر الحلم الكبير

فِي وجُوهِ الصّحب دَارَت نَظَرَات
أقسموا ، وَاشتبكت أيديهم مِن حَول رايَة
هَدَف يَجمعهُم سَام وَغَاية
وَالطّريق
نحوَ قرص الشّمس ، ترسمهُ الدّمَاء
وَالزنودُ السُّمر لاَمسَت السّمَاء
وَالعيُون السّاهِرات الحَالمَات
بالغَدِ المَوعُود
تَنتَظِر الشّرُوق

عبد المجيد القمودي



في ديوان المرحوم عبد المجيد القمودى ـ زغاريد في علبة صفيح ـ معاناة عميقة لتجربة الخلق، وموهبة تتفجر بالعطاء والصدق، والحرارة، وصورة حقيقية لاحلام هذا الجيل وطموحاته فانت حين تتصفح الديوان، وتقرا قصائده لا بد ان تحس بهذا الدفق الوجداني الحار، الذي يمتلىء بحب الارض والناس، وبالشوق الى الثورة. الثورة التي تصنع الغد، وترسم طريق الانتصار، وتنقش في اعماق الانسان تلك الاغنية الخالدة التي تتفجر، من اعماق الملايين المسحوقة، فتدفعها الى تغيير واقعها السيء، وتصحح كل العلاقات الاجتماعية الظالمة، التي صنعت كل انتكاسات الانسان وهزائمة في كل مكان على وجه الأرض.

وشاعرية القمودى ليست شاعرية متمرسة، اعني انها تلك

الشاعرية الفطرية التي تتدفق بعفوية مطلقة، فتعطيك هذا الاحساس العميق ببكارة التجربة وبساطة المعنى، وتظل تفوح بذلك الصدق الرائع الخالي من الافتعال والزيف بحيث يكون في امكانك ان تستنشق من خلال قصائده عطر الوطن، وتتلمس تجربة المواطن البسيط الذي ينفعل فيأتي انفعاله تلقائيا وحاراً، مليئا بذلك التوجس الغريب الذي يرسم صورة المستقبل، ويحلم بالفجر القادم، وينفذ الى الغد برؤ يا فنان حقيقي متعطش الى تجسيد ذلك اليوم الذي تنهار فيه قلاع الطغيان، وتسقط عروش العملاء والخونة، وتشرق شمس الحرية على هذه الأرض التي ناضل ابناؤ ها طويلا من أجل غد افضل للانسان والوطن.

ومن أجل ذلك يظل شعر (القمودى) هو احلام الناس وطموحاتهم وثرثرتهم وصخبهم وهتافاتهم وانفعالاتهم البسيطة والساذجة، وبسبب ذلك كله نشأت هذه ـ المنبرية ـ الواضحة التي تمتلىء بها قصائده فشعره مليء بالهتاف والمباشرة. . ذلك انه كان يحاول ان يهرب من ظاهرة التعتيم وغموض القصد ـ تلك الظاهرة التي تشيع في قصائد شعرائنا الجدد ـ ليكون شعره واضحا ومفهوما من قبل الجماهير لكنه لم يستطع ان يمسك ذلك

الخيط الرفيع الذي يجعله بعيدا عن الغموض دون ان يقوده الى فخ المنبرية، التي تفقد الشعر كثيرا من روعته وبهائه.

لكننا بالرغم من كل ذلك نحس مع قراءتنا لكل قصيدة من قصائد المجموعة نحس بقلق الخلق، ونجد أنفسنا أمام عالم فسيح ورائع يختلج في ارجاء قلب الشاعر، ذلك ان القمودى ظل يؤمن حتى النهاية بالانسان وبقدرته العظيمة على تجاوز فواجعه وازماته.

وقد ظل يؤمن ايضا بان الشعر ليس ترفا فكريا بقدر ما هو اداة لخدمة الانسان والتعبير عنه، وانتشاله من هوة الانكسار والشعور بالفاجعة التي تقود الى اليأس والسلبية. وهذه المجموعة التي صدرت بعد وفاته لا تمثل نتاجه كله. وقد لا نجانب الصواب اذا قلنا بانها تمثل اضعف مراحل تكوينه الابداعي فقد ابتدأ ـ القمودى ـ يكتب الشعر على الطريقة التقليدية وكان له اعجاب خاص باحمد رفيق المهدوي، واحمد الشارف وله معارضات طريفة لمعظم قصائد هذين الشاعرين، خاصة قصائد ـ الشارف ـ الدينية في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا زلت اذكر (القمودى) وهو بنشد قصائده في

الموالد الدينية، ويغنيها ايضا، فقد كان يتمتع بصوت جميل وحنجرة صافية، ثم ابتدأت موهبته تتفتح على انتاج رواد المدرسة الرومانسية في الشعر العربي، فاخذ يحفظ قصائد ناجى وابي ماضى وفدوى طوقان وابي القاسم الشابي، وقاده هذا الاعجاب الى نوع من العشق الشديد لابداعات الشاعر على الرقيعي، حتى انه كان يحفظ ديوانه ـ الحنين الظامىء ـ عن ظهر قلب، وأثناء ذلك كان ـ القمودى يكتب الشعر بغزارة ويحاول أن يخوض كل تجارب التجديد في الشعر العربي حتى انه انبهر بتجربة التجديد في الشعر العامي التي كان من روادها احمد الحريري وعبد السلام زقلام وعبد السلام قادربوه، وقد ابتدأ القمودى يحاول كتابة الشعر بالعامية في مرحلة مبكرة من مراحل شاعريته، وله محاولات عديدة ناضجة نشرتها الصحف في أواخر سنة 1968.

ولقد كانت مشاعره مضطربة بحيث أنه أراد أن ينفثها عبر كافة مجالات الابداع، لم يكفه الشعر فأراد أن يعبر عن هذه المشاعر برسم لوحاته الفنية مليئة بهذا الاحساس العميق بالضياع والحيرة والقلق الذي كان يملأ أعماق الشباب في تلك الفترة، إلا أنه بالرغم من كل ذلك ظل يحجم عن نشر قصائده

أو إقامة معارض فنية لرسوماته.

ظل دائما مترددا، وكنت اقول له دائما: لماذا لا تنشر انتاجك؟ وكان حينها يطرق قليلا ثم يجيبني: - عندما اكتب شيئا ارضى عنه لن ابخل به على القارىء، اما هذه المحاولات المتعثرة فهي لي وحدي لانها تجربتي التي لم تتضح بعد، بعدها فوجئت به يرسل بمقطوعات من شعره للصحف، وقد نشرت له قصائده جريدة - الرائد - ومجلة الاذاعة وصحيفة الشعب، وصحيفة الثورة، وصحيفة الاسبوع الثقافي، لكنه مع ذلك ظل يكتب الشعر بغزارة ولا ينشر الا القليل من انتاجه، حتى عندما عرض عليه مجموعة من اصدقائه نشر هذا الديوان تردد في البداية، ثم جمع لهم بعض قصائده كيفما اتفق واعطاها لهم، وهو لا يدري ان العمر لن يطول به حتى يرى هذه القصائد مطبوعة في ديوان!

وعندما قرأت الديوان شعرت ان هذا الشاعر قد قدم في هذه المختارات من شعره كل تجربته وصدقه واعطانا صورة عنه، صورة صادقة وحقيقية. فالذي يعرف القمودى عن قرب لا بد ان يستشعر طعم الصدق والبراءة داخل نسيج هذه القصائد،

لانه من خلالها ينظر الى العالم بثقة ومحبة، ويغنيه بفرح الطفولة وشفافية الحلم، فالعالم عنده طفولة دائمة، وعشق متواصل للحياة، ومن اجل ذلك ظل هذا الشاعر مجرد طفل بريء يمسح ببؤبؤ عينيه الظلال التي تغتال صبحه مدركا ان فهم الازمة يزيد من ضراوتها، لكن هذا الفهم وحده يظل كافيا للانتصار عليها ودحرها..

يغني - القمودى - اول ما يغنى في هذه المجموعة، الفقر هذا الغول الذي يولد الهموم ويخلق القلق والحرمان ويعيش في الدماء خريفا تنضب فيه الحياة وتجف الاعماق والعروق يغنيه بادراك كامل وفهم عميق، ويواجهه بثقة على الرغم من انه يخدش جفنه ويجعل بيته مجوفا مخلخلا كالغيوم،وينتصب امامه غولا رهيبا يقض مضاجع الانسان، وقصة عجيبة متناقضة تملأ اعماقه اسفا وحزنا.

واعود للكوخ الحقير
بالجبن بالخبز المجفف بالزبيب
واعود للطفل الغرير
بمخلفات - الامركان - من الحليب

واحل طرف حزامي المعقود

اذ تندس اعقاب السجائر

واظل افركها

واطويها بعشرات ـ اللفافات ـ

واغرق في الدخان

وتعد لي ـ صاحبتي ـ الشاي
الذي في بلدتي ما زال ـأفيون ـ الرجال.

ومع اللفافات التي اغتالها اوشك ان اغتال نفسي ـ داخلى وعلى الشفاه

تئن انفاس الحياة

ويظل الانسان في شعر (القمودى) هو محور الاشياء ومركزها، لانه وحده القادر على اعطاء الاشياء معناها الواضح والصحيح، وهو وحده المؤهل لحمل اعباء المسؤولية التي حمله اياها الخالق سبحانه وتعالى، لكن مسيرة الانسان قد تتعثر،

وقد ينال الوهن من عزيمته لان قوى ظالمة انفصلت عن جذورها الانسانية واعمتها الاطماع والاحقاد والطغيان عن رؤية المعادلات الصحيحة التي من شأنها ان تدفع بركب الانسان الى الامام، قد قررت ان تمحو كل اشراقة تطل على وجه الحياة وتصنع مجموعة من العلاقات الاجتماعية الظالمة التي تحقق لها اطماعها وتبرر لها طغيانها واحقادها، وتمكنها من استعباد الاخرين ونهب حقوقهم، وذلك هو ما يقلق الشاعر ويعذبه، ان تستبد طائفة من ابناء المجتمع ايا كانت لتستحوذ على كل شيء وتمتلك كل شيء، ويظل هذا القلق الذي يتغلغل في اعماق الشاعر، متموجا مضطربا ككل احداث الحياة، يدفعه ويلح عليه ان يمزق تجدده ويعصف به لعله في رماده يبتكر الفجر.

انا ما كنت ـ مسيحا ـ

انا ما اورثني غير جراحه
انا ما ضاعف حزني

غير ليل ظل مندسا باثواب صباحه
يخدع الاعين بالضوء

ـ وفي الاعماق يزداد قتامه

ـ يا حمامة

ـ ناشدي السمح الذي في الغار

ـ ان يخرج كي ينقذنا مما نعاني

ـ قبل ان يدركنا يوم القيامة

اما مشكلة الموت فيواجهها (القمودى) بمثل الانسانية والتعالي اللذين واجه بهما مشكلة الفقر، وهو في مواجهته لها تحس بانه عاناها معاناة كيانية فالموت عنده ليس حدا للحياة بل علوا وسموا بها، لقد مات شاعره الذي احبه دون ان يلتقي به، فغنى الموت من خلال هذا الحدث بحرارة وفجيعة، ولكن باطمئنان ايضا فالشاعر لا يموت.

يا مسجى في فؤادي

ومغطى بضلوعي

قبرك الأعماق ـ أعني

مهدك الاعماق فاصنع من دموعي

شمعة تستعجل الليل ليمضي

كي ارى عمق جراحي

واذا كان الشاعر يلتفت بين الفينة والاخرى الى الموضوعات العامة فيكتب مرثاة صديق رحل فجأة، او يحكي قصة حب عابرة، فان الوطن يظل هو اغنيته الدائمة وهاجسه الوحيد، فالاعوام تمر وتنقضي وما زال الليل جاثما على الصدور، واطلالة الفجر لا زالت بعيدة، والطغاة يستمرئون طغيانهم، ويمتلئون غطرسة وجبروتا، ويمارسون كل ما يتنافى مع انسانية الانسان ويتناقض مع حقوقه وكرامته.

مرت الاعوام

والاحرار في قلب السجون

تعبث الاصفاد فيهم، والمنون

والحسان الغيد، والاطفال، والمستضعفون

في بلادي

يقتلون، يشردون

لكن هذه الصورة القاتمة لا تبقى مجرد حالة سلبية، تفتقد بديلها الايجابي ومعادلها الموضوعي، لان القهر لا يلد سوى الاصرار على مقاومته، والطغيان لا بد ان يستحث الهمم لمقاومته ودحره، والعبودية لا يمكن الا ان تكون باستمرار تطلعا الى الحرية والتخلص من القيود، والخيانة لا بد ان تجد من يتصدى لها ويجتثها من جذورها، والعهر لا بد ان يستنبت شرفاء يدوسونه ويمسحون قذارته عن وجه الوطن، والاعوام ما زالت تمر، ولا بد ان الاحرار يتأهبون ويتربصون ويصنعون على مهل خيوط الفجر القادم.

مرت الاعوام

والاحرار مازالوا على العهد الوثيق

اقسموا واشتبكت ايديهم من حول راية

هدف يجمعهم سام وغاية

والطريق

نحو قرص الشمس، ترسمه الدماء

والزنود السمر لامست السماء

والعيون الساهرات الحالمات

بالغد الموعود

تنتظر الشروق

ان اغانيه تظل باستمرار انتظارا لهذا الشروق المرتقب الذي يملأ الارض ضياء ويكتسح خفافيش الظلام، وتنابلة السلطان وهو لذلك سرعان ما يهب مليئا بالسعادة وهو يسمع خبر اندلاع ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، فالتغيير لا بد ان يكون لصالح الفقراء والمضطهدين والمحرومين من كل حقوقهم وكرامتهم، فالثورة لا تقوم الا لاقرار الحق والانتصار للمعذبين والمسحوقين والفقراء وفاقدي الحرية..

ومددت كفا موهنا

متثاقل الحركات للقنينتين

ومع اذان الفجر آلاف من الاصوات ضجت

والطريق، ضاقت بما رحبت ـ زحام

الله اكبر، ما أراه حقيقة

أم أنه أسكرني الكلام؟

ويرد، صوت، هاتف، عال، عميق

هي الثورة

هي الثورة

ليسجل التاريخ في صفحاته بالنور

يوم الانتصار

ومنذ ميلادالفجر، وانبعاث شرارة الفاتح من سبتمبر العظيم، ظل الشاعر يتابع انتصارات الثورة، ويسجل كل خطوة تخطوها الى الأمام ويصبح شعره صدى واغنية، واحتضانا لكافة المنجزات والانتصارات التي تتحقق على هذه الأرض كل يوم. ولم يكن القمودي ينفعل بالحدث انفعالا عاطفيا، لأن الانفعال العاطفي ليس الا احساسا سريعا ومؤقتا، ولم يكن التغيير العظيم الذي حدث على هذه الأرض يستوجب التعامل معه بالعاطفة بقدر ما كان يتطلب انفعالا عقلانيا وانحيازا نهائيا الى صفوف الجماهير التي استطاعت ولأول مرة، عبر قيادة الضباط الوحدويين الأحرار، ان تحقق ذلك الحلم الكبير الذي عاش طويلا في اعماق الشعب، حتى تحول الى حقيقة بقيام ثورة الفاتح من سبتمبر العظيمة، وكان لا

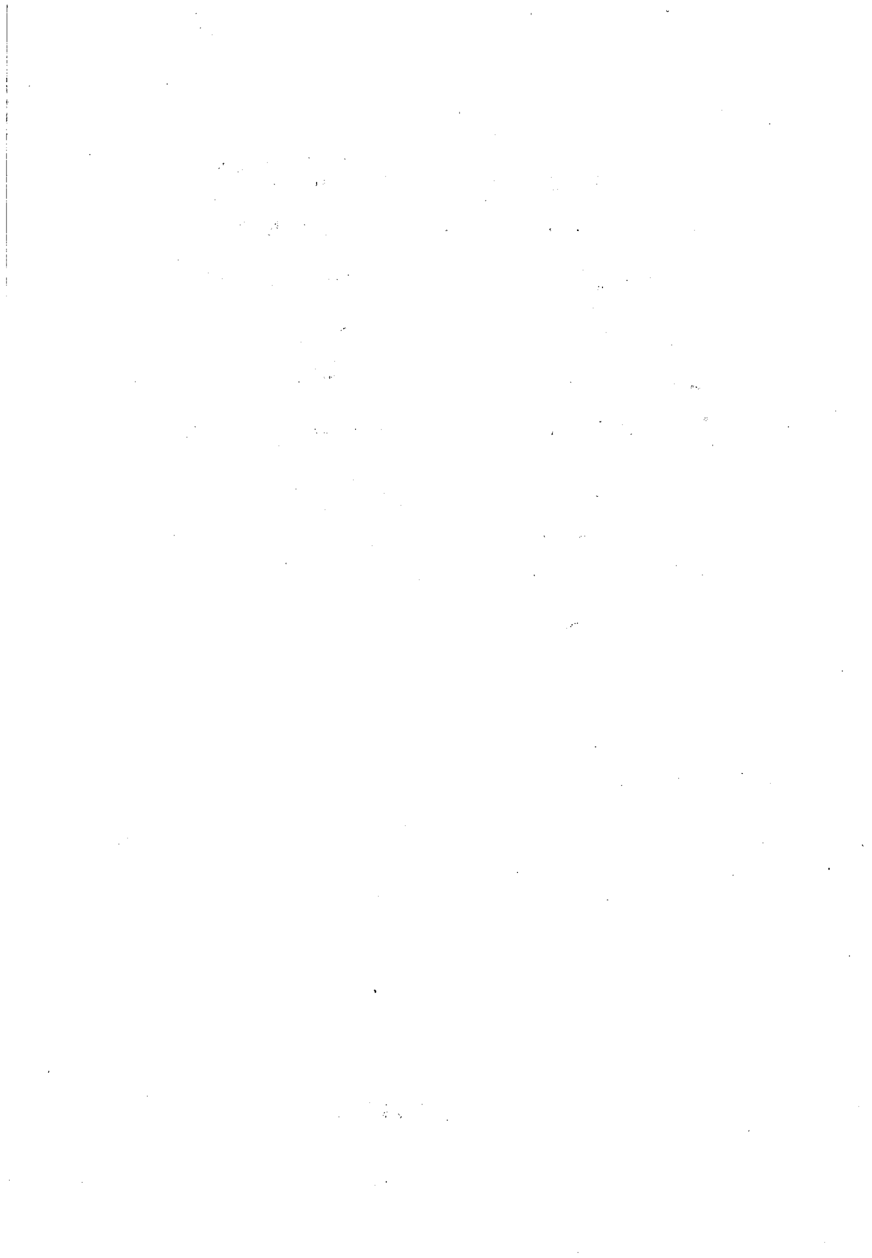
بد ان يقف الشاعر محييا الثورة، معلنا انحيازه النهائي لها، ووقوفه الدائم الى جانبها كواحد من الملايين التي انتظرتها طويلا.

واجمعي يا ام من حولي الصبايا
كي يزغردن، وكي يسقينني من نبع
- سبتمبر - كأسا
طيب الطعم معطر
فالاباريق القديمة
كلها اضحت هشيما
فوق صخر الثورة البيضا - في
وطني - فيا شعبي
كبــــر
واملأ الدنيا اناشيد وخل الحب يزهر
في فؤاد الكادح المحزون خل الحب يزهر

لقد كان عبد المجيد القمودي، شاعر هذا الجيل الذي امتلأ بحلم الثورة والتغيير طويلا، ثم استطاع بكفاحه ونضاله ان يحقق هذا الحلم عندما افرز من بين صفوفه قيادة الضباط

الوحدويين الأحرار التي استطاعت ان تعلن ميلاد الفجر، وتدك العرش العميل، وتطهر الأرض والعرض، وتعطي اشارة الانطلاق للجماهير كي تبدأ ولأول مرة في تاريخ البشرية مرحلة جديدة ورائدة فيها يتحقق عصر الجماهير، ويتسلم الشعب السلطة والثروة والسلاح، ويتم فصل السلطة عن الثورة، ويتحقق في كل يوم اعجاز جديد في كافة المجالات.

رحم الله القمودي بقدر ما كان محبا للوطن وللجماهير وللثورة العظيمة الرائدة، ثورة الفاتح من سبتمبر.



عندما تصبح الحياة قصيدة

لاَ شيء غَير الرّيح تشجي في اللّيالي الفاسقَة ومَشاعر عَذراء
بكر شاعرة بعثت مِن الرّيف الحَزين
قلَمي الفقير
ليَقول يا شَعبي بنفس حَائرة أنفاسه تبكي وَطَورًا ثَائرة
لكنهَا في عَينيك الخَرسَاء يَا وَطَني حطَام
كالذكريَات الراسِبات عَلى الظلام

لطفي عبد اللطيف



عندما اقتحم لطفي عبد اللطيف شوارع مدينة طرابلس لأول مرة في اواخر الستينات كان مجرد شاب قروي لا يملك شيئا، سوى عناده وطيبته، ورغبته الجارفة في التعرف على عالم جديد يختلف كل الاختلاف عن عالم القرية المألوف، ولم تكن مدينة طرابلس في ذلك الوقت، مجرد مدينة عادية، لقد كانت شيئا آخر يختلف كل الاختلاف عن بقية مدن الوطن ففي مقابل البكارة والصحو والعلاقات الاجتماعية الواضحة والمتينة التي تميز عالم القرية، كانت مدينة طرابلس تمثل نقيضا لكل ذلك، لقد تحولت الى واجهة للقبعات الأجنبية اكثر منها واجهة للوطن، وقد حولها نموذ بقايا الفاشيست وعملائهم الى متاهة حقيقية تدعو الى الصراخ، وصورة لماعة تمتلىء بكل الرعب والخوف والخداع، والعلاقات المصلحية والوقتية السريعة التي

لم يكن من السهل على وجدان نقي وصاف ان يألفها ببساطة، ولم تكن واجهاتها الزجاجية وطرقها المرصوفة المخصصة لعربات السادة والأجانب، ومبانيها المتزاحمة المكتظة المتلاصقة، لم يكن كل ذلك سوى صورة من صور الرعب الذي ينزرع في اعماق كل قروي يحاول ان يكون جزءا منها.

ولقد كان (لطفي عبد اللطيف) يحاول ان يكون كذلك لكن الرحلة لم تكن باليسر والسهولة التي كان يتصورها فالمدينة تمتلىء بحشود هائلة من البشر، لكن امتلاكها والسيطرة عليها يظل من نصيب نوع معين من البشر، اما البسطاء والطيبون وذوي التجارب المحدودة، فان مكانهم دائما هو (الهامش) حيث التعاسة والفقر والكدح اليومي المتواصل من اجل لقمة العيش، ولقد وجد لطفي عبد اللطيف مكانه شاغرا على حافة هذا الهامش، فكانت صدمته الأولى التي خلقت منه شاعرا، لقد تحطمت كل احلامه وامانيه فجأة وعلى غير انتظار، ولفظته الشوارع المرصوفة والابنية العالية، والأضواء الليلية المتلألئة الى حيث ينبغي ان يعيش امثاله من الفقراء، الى اكواخ الصفيح التي كانت رمزا من رموز التخلف والقهر وصورة من الصور

التي شكلت وستشكل باستمرار وعلى مدى التاريخ وصمة في جبين طغاة العهد الملكي المنهار.

لقد اعطانا احمد عبد المعطي حجازي هذه التجربة عندما اصدر ديوانه الأول سنة 1958 وفيه ركز الشاعر على الاحساس بالغربة والضياع في المدينة، وذلك بعد ان وفد من الريف بعلاقاته الانسانية الحميمة، واتى الى المدينة، فهاله فيها تدهور القيم النبيلة تلك القيم التي عاش في جوها أثناء نشأته الريفية، ومن أجل ذلك نجده في هذا الديوان، يصرخ في وجه المدينة صراخا حادا وعنيفا.

ايا قبابا متخمات قاعدة
يا كافرة
انا هنا لا شيء، كالموتى، كرؤ يا عابرة

لكن تجربة لطفي عبد اللطيف، تظل اكثر مأساوية، لقد كان مجرد مواطن بسيط يبحث عن فرص للحياة الكريمة لكن تناقضات الواقع، وبشاعة العلاقات الاجتماعية غير العادلة حولته الى شاعر يمتلىء غضبا وتحديا ورغبة في ازالة هذا الركام القذر من المظالم والتعاسات لكي يستطيع الانسان ان يعيش

كريما مثل بقية البشر، ولقد استطاع «لطفي عبد اللطيف» أن ينقل لنا هذه التجربة الحقيقية والصادقة عبر ديوانه الأول «أكواخ الصفيح » الذي صدر سنة 1967 ، ولعل الاسم الذي اختاره الشاعر لديوانه، ينبىء عن توجهات الشاعر الوطنية والاجتماعية، ويصور مرارة التجربة التي عاشها، ويرصد كافة التناقضات والمظالم والنتوءات البشعة التي كانت، تشوه وجه الوطن، خلال تلك الفترة المظلمة من حياة هذا الشعب الذي كان يئن ويشقى، ويتعذب ويعيش تائها على الهامش في ظل تسلط طغاة العهد الملكي المنهار.

ولكن لماذا الشعر؟ وما الذي يجعل «لطفي عبد اللطيف» القروي الذي تستقبله المدينة بهذه القسوة، يختار الشعر كوسيلة من وسائل النضال ضد هذا الظلم الذي نكب به، الم تكن ثمة وسيلة اخرى غير الشعر سبيلا للنضال وسيلةللرفض والادانة وتحديد الموقف، مثل هذه الأسئلة لا بد ان تدور في ذهن الانسان وهو يستعرض حياة هذا المواطن التي تحولت الى قصيدة مليئة بكل الحزن والألم والانكسار والغضب ايضا لكن من عاش تلك الفترة التعيسة وعانى بشاعتها ومرارتها لا بد ان يدرك معنى هذا الاختيار، لقد اخمد النظام الملكي كل بريق للحياة في

النفوس، واغتال كل الاحاسيس والمثل الشريفة، وسلط ادواته القمعية لخنق كل الطموحات والاحلام في اعماق انسان هذا الوطن ولم يبق شيء يمكن للانسان ان يختاره سوى ان يصرخ ويحتج لعل صدى صرخاته واحتجاجاته، توقظ في اعماق الجماهير غضبها ونقمتها وثورتها الحبيسة في الصدور، فتنهض لانتزاع حقوقها واكتساح مغتصبي حريتها وسارقي قوتها وخيرات وطنها.. وهو ما فعله هذا الشاعر والح عليه.. لقد قدم تجربته الخاصة واستطاع من خلال هذا التقديم ان يعكس كل ازمات جيله ويجسد احلام مواطنيه، ويصور مأساة شعبه، وواقع وطنه.

وبالرغم من ان دووابن الشعر تخلو من المقدمات في العادة، لأنها تترك للعمل الابداعي فرصة تقديم نفسه بنفسه، فان الشاعر لطفي عبد اللطيف يصر على ان يكتب مقدمة لديوانه الأول «اكواخ الصفيح» يحكي فيها قصته مع المدينة، ويصور تجربة تركه قريته الى هذا العالم القاسي العنيف الذي لا يرحم، ويحدثنا كذلك عن سبب انتمائه للمدرسة الحديثة في الشعر، وعن اهتمامه بقضايا وطنه وامته، وحلمه بانتصار شعبه على كل القوى التي تحاول استعباده والسيطرة عليه.

يقول الشاعر في مقدمة الديوان:

«والشعر الحديث ليس هروباً من القافية كما يزعم، ولا قصوراً في لغة الشعراء المحدثين كما يقال، ولا فرارا من عظمة و«اهرامية الأوزان والبحور»، وانما الشعر الحديث مخلوق ولده جيلنا او هو نتيجة اوجدتها مراحل، وليس من حق احد الغاؤها، او الطعن فيها، انه هذه الكلمات البسيطة المتناثرة، والتي تحمل مضمونا يعبر عن هذا العصر وهذه الأجيال. . عن امانيها وعذاباتها وفقرها، واستعمارها وتاريخها العظيم وحاضرها المؤلم، وفرقتها ولقاءاتها المبتورة، وقلقها القلق، وشهدائها الذين يغتالون كل يوم، وعاملها وفلاحها، واراضيها المغتصبة، وفلسطينها، وتأخرها الاقتصادى والصناعي، الى غير ذلك مما جمعه واقع هذه الأجيال فهل ينفع في هذا الواقع عجز من معلقة عنترة، أو بيت من مجون أبي نواس، أو مراثي الخنساء في صخر؟ لا أعتقد.

هذا هو ما دفعني الى رحاب المدرسة الحديثة اجلس في فصولها محاولا ان اكون تلميذا نجيبا. . اعيش واقعي وواقع وطني وجيلي. . وواقع عالمي. . اعبر عنه من خلال عمري

وتجاربي، ولعل كل هذه التجارب- اغلى ما املك- سيمر عليها القارىء في قصائد هذا الديوان.. وضعتها صادقا بدون «رتوش» وهي ليست رحلتي انا فقط، وانما هي رحلة الآلاف من ابناء وطني». [1]

ويعترف الشاعر بانه متأثر بديوان «مدينة بلا قلب» للشاعر احمد عبد المعطي حجازي، لكنه ينسبه خطأ للشاعر عبد الوهاب البياتي، وهذا دليل على ان الشاعر كتب مقدمته بسرعة دون ان يخطط لها او يراجعها الأمر الذي اوقعه في هذا الخطأ لأنني لا اعتقد انه يجهل صاحب المجموعة الشعرية التي تأثر بها ويلاحظ الشاعر ان هذا التشابه او التقارب الذي قد يلاحظه القارىء بين ديوانه «أكواخ الصفيح» وديوان «مدينة بلا قلب» لأحمد عبد المعطي حجازي، ربما نشأ «لأن رحلتي من الريف الى المدينة كانت تجربة لم ارد تجاهلها، ولم استطع نسيانها ومع انني عشت جزءاً من عمري في تونس كمهاجر فانا كانني لم اخرج من قريتي ومدينتي ومن جيلي. . احببت في هذه القرية وهذه المدينة، وهذا الجيل كل شيء.. ذلك انه كل ما املك

(1) لطفي عبد اللطيف مقدمة اكواخ الصفيح - منشورات مكتبة الفكر 1967

ان أراه وألمسه وأسير فوقه وتحته والى جانبه امضغ أيامي بطعمه، لا يبعدني عنه وهم حب غادة اسبانية من قرطبة.. ولا وهم جفاء وهجران وجوى وحبيب كالقمر، او كالوردة في اوان تفتح اكمام الربيع ذلك ان هنا جيلا يسير.. وصفيحا قائما.. ورحلة شعب على كل فنان ان يجسم تجاربها ويلقي الضوء على ما فيها بحب واخلاص.. فربما عرف هذا الجيل من خلال محبيه ، نفسه واذا عرف هذا الجيل نفسه فهو حتما سيد طريقه الى النور» [1].

وهكذا نستطيع من خلال هذه المقدمة التي اصر الشاعر على ادراجها في ديوانه، ان نتعرف على توجهات الشاعر واهتماماته، لنكشف عن وجدان مليء بحب الوطن والاحساس بالمآسي التي يغرق فيها. لقد اراد ان يقول لنا منذ البداية انه لم يختر طريق الشعر عبثا ولا لهوا.. انما كان هدفه الرئيسي ان يعلن رفضه وموقفه من كافة اشكال القهر والعلاقات الاجتماعية الظالمة التي تستمد وجودها واستمرارها من تسلط اجهزة الحكم الملكي المنهار وحمايتها من القوى

---

(1) نفس المرجع السابق

الاستعمارية وبقايا فلول الفاشست التي كانت تدنس التراب وتجثم ككابوس رهيب على الوطن والمواطن.

وبالاضافة الى ذلك فانه يلح من خلال المقدمة على قضية اخرى ذات بعد فني واجتماعي في نفس الوقت، انه يحاول ان يبرر سبب انتمائه للمدرسة الحديثة في الشعر، لأنها الأكثر صدقا والأكثر التزاما تجاه القضايا الاجتماعية والوطنية ذلك ان «الشعر الحديث- في جوهره ليس هدما للشعر التقليدي او للقصيدة الكلاسيكية، انه امتداد نوعي لها، فقد فرض احتواء الشعر الحديث لمضامين مختلفة طرازا مختلفا في البناء الفني، اي في الشكل، فاهتمام الشعر الحديث بالتجارب الانسانية المعاصرة ومعاناته لقضايا الانسان البسيط وهمومه ومشاغله، كل هذا ادى الى انقلاب في التكتيك الشعري، فامام عجز الشكل القديم عن احتواء تفاصيل التجارب الجديدة وتلوناتها النفسية وسيولتها، أمام عجز القالب القديم كان لا بد من خلق وسائل فنية جديدة، وقوالب فنية جديدة تغرف من اصالة القديم وتعترف له بالابوية، ولكنها لا تظل استنساخا ابديا منه فيما الوعي الاجتماعي والفني لدى الشاعر يلح مطالبا بتقنية

جديدة تبرزه وتسويه وتقوي على طرحه بنفس غناه وحيويته وحرارته [1] .

تبدأ رحلة الشاعر الأولى، داخل طفولته، التي عاشها بين احضان قريته الصغيرة، بسيطاء كبساطة الحياة فيها عنيدا ومثقلا بالمشاعر الغامضة، مثل ازقتها الملتوية وبيوتها الصغيرة المتلاصقة، وكان مثل كل الأطفال يحس ان في مقدوره امتلاك كل شيءالأرض والسماء والاشجار والذكريات النزقة، اليس هو سيد كل هذه الأشياء دون مسؤولية او وعي؟! لكن الحلم الكاذب سرعان ما يصطدم بصخرة الحقيقة، ومع اللقاء بالحرف تبدأ رحلة المسؤولية وتكون (المدرسة) هي بداية تقنين الأشياء وتحديد معانيها وهكذا تأخذ الأمور صورتها الجدية، في ذهن هذا الصبي الغر.

والابتسام محرم وسط الفصول
«ماذا تقول ؟ »
انت غبي يا صبي . .
ويخط فوق اللوحة السوداء لا يهتم بي

---

(1) يوسف القويري، قطرات من الحبر - الدار العربية للكتاب 1975

«كلب وقط ثم حرف اجنبي»
وقصاصة من فلسفة
وقصيدة متصوفة
او بالسيوف وبالنبال مغلفة

* .. * .. *

ولم تكن تلك الأشياء الجديدة سوى بداية للمتاعب، والهموم التي تنتزع الانسان من طفولته فجأة لتقوده الى عالم يختلف كل الاختلاف عن عالم البراءة والانطلاق الذي كان يعيشه.

واجر اقدامي على الريف الكئيب
باك فقد مات الاب المسكين في عام جديب
راح الحبيب
ودعته في المقبرة

وهكذا يموت الأب وتظلم الحياة تصبح اشد تعاسة وتتحول الأيام بفقرها وعذابها وفقدانها للمعنى، الى جحيم، ويرتبك الطفل الذي لم يعد يملك شيئا سوى دفق احساساته الغضة، وعناده الطموح الذي يدفعه الى الاصرار على تكملة الرحلة مهما كانت النتيجة

ومشاعر عذراء بكر شاعرة
بعثت من الريف الحزين
قلمي الفقير
ليقول يا شعبي بنفس حائرة
انفاسه تبكي وطورا ثائرة
لكنها في عينيك الخرساء يا وطني حطام
كالذكريات الراسيات على الظلام

لقد كانت لحظة الحزن تفجيرا خلاقا لمعان اكثر نبلا وعمقا بحيث وجد الشاعر نفسه يتخلص من فجيعته واحساسه الذاتي بضآلة الأشياء، ليندفع الى حيث ينبغي ان يندفع الانسان الذي يعي الأمور عبر مقاييسها الصحيحة، وكانت الجماهير هي الملاذ، والاتجاه الى تلمس قضايا الشعب هو الطريق الصحيح للانتصار على ازمات الذات وتحويلها الى قضايا موضوعية ترتبط بالواقع وتسهم في تطوره ودفعه الى الأمام، وعبر هذا المنطلق الجديد، بدأ الشاعر رحلته الثانية الى المدينة، الى تجربة مختلفة كل الاختلاف وواقع اكثر تشابكا وغموضا وصعوبة.

ضوء المدينة ساطع ما اجمله

وفغرت في بحملقات ذاهلة
وببسمة ريفية متمهلة
ولقد عثرت بالف شخص في خطاي الخائفة
ويشدني رجل غريب في الممر
«الضوء احمر لا تمر»
ضوء مطاع
ما زالت الأضواء تسطع لا يخفتها صراع
* .. * .. *

تلك كانت بداية الاقتحام، مرتبكة، وجلة، متعثرة، لكنها مليئة بكل عناد القادم لاكتشاف عالم مجهول وخوض تجربة جديدة، لكنها كانت تجربة قاسية ومثقلة بالمصاعب والهموم فلقد طردته الشوارع المرصوفة التي ظن ان في استطاعته امتلاكها وسخرت منه القصور. لأنه غريب عنها ودلته على مكانه الطبيعي وسط مجتمع العلاقات الظالمة، دفعته الى حيث ينبغي ان يكون امثاله من البسطاء الفقراء الكادحين ووجد نفسه وسط كوخ من اكواخ الصفيح عالم الفقراء والمسحوقين مسلوبي الحقوق.

وشققت دربي نحوه بين القصور
حتى تخلى الضوء عني والمباني والزهور
ماثم شيء من عطور
غير الصفيح وغيرها مات القبور
وسألت لاعبا بالطين عن ذاك الصديق.
فاشاح وجها شاحبا عن لعبته
مسح اليدين بثوبه، وبشعره وبجثته
واشارللباب الحقير
ودخلت في دنيا القبور
الله ما اقساك يا ضوء القصور
ما زالت الأضواء تسطع في فتور
ما همها من في الصفيح بلا مصير
للزمهرير وللهجير
ما زلت في بلدي اسير
ما زلت مجهول المصير
ما زلت
رحماك ابي
رحماك في الريف القرير

وهنا تتكامل الصورة، وتتحدد زوايا التجربة ومنحنياتها ويصبح الصراع له طعمه الخاص والموقف يتضح، ويكتسب معناه الايجابي، والمدينة الكبيرة القاسية تتضاءل أمام عناد الانسان وصبره، لقد تحولت الحياة في مجموعها الى مجرد قصيدة مليئة بكل الغضب والعنفوان والتمزق والحيرة وردود الفعل العشوائية، ولحظات اليأس القاتلة وكافة اشكال الطموح الانساني وصوره، وايضا كافة هزائمه ولحظات ضعفه وانكساره.

الضوء احمر لا تمر
رنت بسمعي كالضمير وكاليقين وكالقدر
حتى اطلت بادرات اليأس من قلبي
الحزين
وبددت ساقي للألم
فأنا الصفيح انا العدم
وأنا انين مدينتي ارتاح في ذيل الربيع

* . . * . . *

لكن هذا الدق العنيف على ابواب الضياع والحيرة والتمزق

لا يلبث ان يخفت ليتحول الى اغنية عطشى الى الصباح، اغنية ننتظر الفجر، فجر الثورة العظيم.

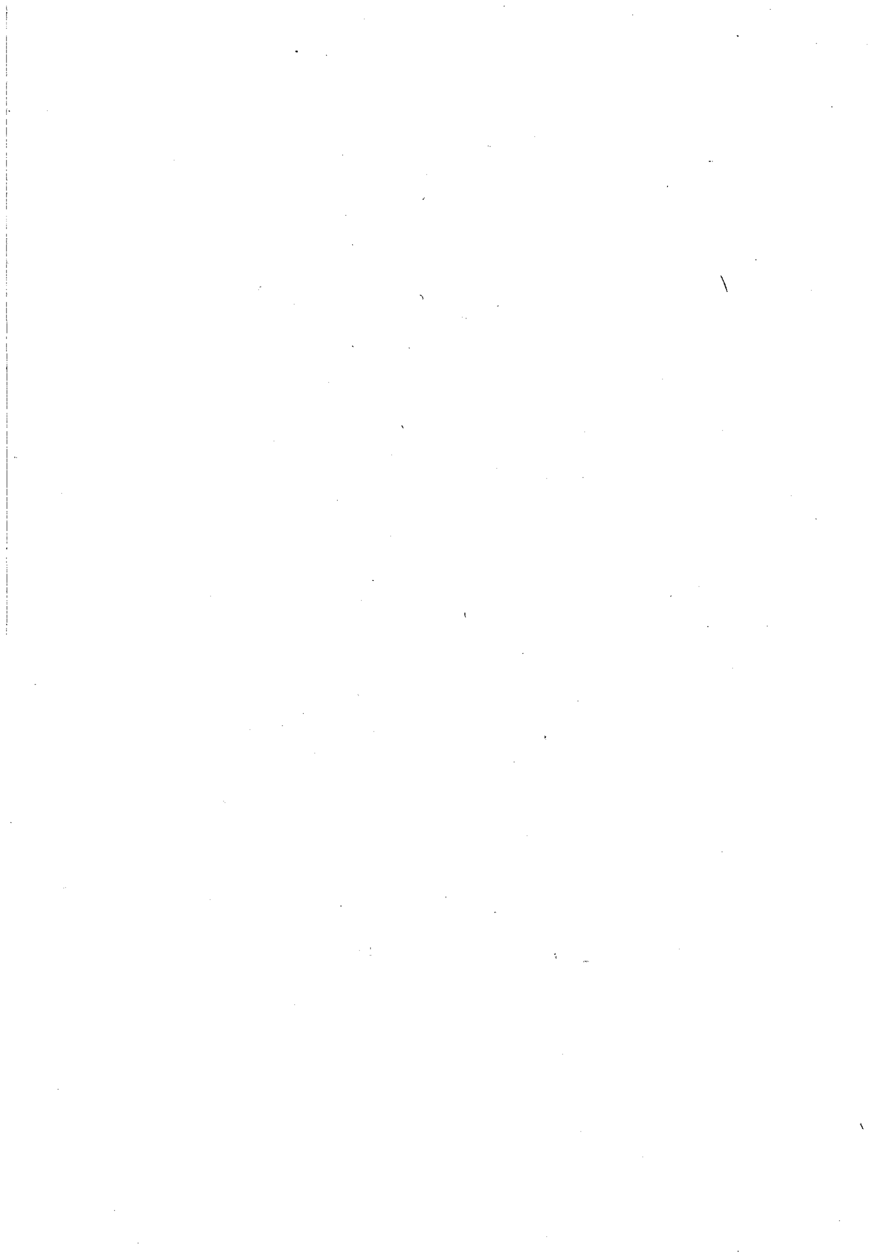
عشت يا وطني، ايا ذيل الربيع
يا صقيع
يا ضياع
لا رحيلا، لا جنونا، لا صراع
يا جراح
يا انينا يا دموعا، يا نواح
ليس يوقظك الصياح
يا ابي رحماك في الريف الكئيب
ربما جاء الصباح

وهكذا تتضاءل الهزيمة أمام صرخات الشاعر وتحديه، لأنه كان يرى من خلال معاناته وعذابه، تباشير الفجر القادم الذي ما لبث ان اطل وملأ نوره الآفاق صبيحة الفاتح من سبتمبر العظيم، وقد كانت اطلالة ذلك الفجر الرائع نهاية لكل تعاسات الانسان على هذه الأرض الطيبة المباركة، وبداية لرحلة الانتصارات العظيمة والطموحات الكبرى والانجازات الرائعة التي تتحقق في كل يوم على أرض الفاتح العظيم.

أحلام وثورة

ثِـر أخي للشَهيـد
لبِـلادٍ تـَميد
تحتَ قَصفِ الحَـدِيد
لَحـمي يسَتغيث ، تـُرى هَل مِن
مجيـب ؟
لأبٍ وَأخ ، خَلف سِجـنٍ رَهيبْ
لبُيوت تـفَتش ، بعَـدَ الغروبْ
وَلشهقَـة أُمّ ، وَدَمـع حبَيبْ
أشعِـل النـَار ، ثـُر ، فالخَلاص
قـَريب .

علي صدقي عبد القادر



منذ ثلاث وعشرين سنة اصدر الشاعر «علي صدقي عبد القادر» ديوانه الأول «احلام وثورة» واذا كان صدور الديوان (اي ديوان) لا يعني بأي حال من الأحوال بداية الشاعرية فانه يظل يمثل وباستمرار بداية الانطلاق للشاعر، لأن الاقدام على طبع مجموعة شعرية ودفعها للقارىء والناقد، يدل على نهاية فترة القلق والتعثر والبحث عن المنطلق الموضوعي والشكل الفني الذي يشكل اطارا مهما للتجربة وفي ضوء هذا المفهوم فان قراءة (احلام وثورة) ضرورية لمن يريد ان يستكشف ابعاد الرحلة التي قطعها هذا الشاعر، ويتتبع مسار تجربته الابداعية، التي ظلت بعيدة عن متناول الدارسين والنقاد، وبالرغم من ان (علي صدقي عبد القادر) هو اجدر شعرائنا بالدراسة، لأن مسار رحلته الابداعية يغطي اكثر من ربع قرن من الزمان، ظل

خلاله يكتب الشعر، ويصارع اشكالات الخلق الفني ومصاعبه يغترف من نبع القديم حينا، ويستشرف معالم التجارب الجديدة حينا آخر، حتى ليمكن اعتباره بحق وجدارة رائدا للشعر الحديث في هذا الوطن بالرغم من ذلك فقد ظل بعيدا عن دائرة اهتمام النقاد والدارسين دونما مبرر معقول او سبب منطقي، وهو ما جعل الدراسات القليلة التي كتبت عن الشعـــر الليبـــي الحديث، قاصرة ومبتورة لأنها اغفلت الاشارة الى هذا الشاعر الكبير، وتجاهلت رحلته الطويلة والخصبة في عالم الابداع والخلق الفني. لقد كان (علي صدقي عبد القادر) مبدعا وانسانا، مبدعا بقدر ما اعطى للشعر من مضامين مقاتلة، ومعان حية، وبقدر ما حمله من مسئولية، وحاول ان يوظفه لخدمة قضايا الوطن والمواطن، وانسانا بكل مواقفه وصموده وتحديه لكل الاغراءات والفخاخ التي طالما نصبت للشعراء وقادتهم الى هذا التحدي المستمر لطغاة العهد الملكي المباد وزبانيته.

لقد ظل (علي صدقي عبد القادر) شامخا وصلبا وعنيدا ومؤمنا بوطنه على الدوام، انه شاعر الموقف الشريف والقامة التي لا تعرف الانحناء، لذلك فقد خلت دواوينه الشعرية من

تلك القصائد التي تكتب بحبر الاطماع والطموحات المادية، لتمجد خائنا او تؤله مستعمرا او ترتمي في احضان الجوقة الملكية الفاسدة طمعا في منصب او جاه، لقد انطلق منذ «احلام وثورة» يقاتل تحت راية الشعر الذي يمجد انسان هذا الوطن ويتحدى جلاديه وسالبي حريته وقوته، وظلت كلماته ثابتة كأشجار هذا الوطن، جذورها في اعماق الأرض، واغصانها كالسواعد، واوراقها تنبض باكسير الحياة الذي لا يعني شيئا سوى الأمل في اشراقة الفجر وانقشاع غيوم القهر، ولم تكن قصائده مجرد هتاف سلبي اجوف بالحرية، لا تعبر عن مواقف شاعرها ولا تعكس حياته، بقدر ما كانت صدى لنضال الشاعر وتجسيما لربطه القول بالفعل، لقد كان يكتب الشعر وهو ينفذ «العصيان المدني» وكان شاعر التظاهرات وخطيبها، وكانت الجماهير تردد قصائده في نفس الوقت الذي كان فيه الشاعر يتعرض لاعتقال «الانجليز» وتفتيشهم وهكذا كان علي صدقي عبد القادر» صورة مشرفة للشاعر الذي يرفض ان يبيع جبينه وصوتاً من الأصوات التي حلمت بمقدم الفجر، حلم به وهو يدين كافة اشكال القهر والاستعباد، وتوهجت اشراقته في اعماقه وهو يقف بثوب المحاماة يدافع عن الشباب الوطني

الذي ملأ بهم النظام الملكي دهاليز السجون ويصرخ في وجه طغاة العهد المباد بملء صوته «اذا كنتم تحاكمونهم بتهمة الانتماء الى الأمة العربية، فدعوني ادخل القفص معهم فانا عربي انا ايضا اؤمن بأمتي العربية».

وحلم بالفجر وهو يرفض كتابه قصائد المديح والتملق والكذب والرياء، وحلم به وهو يتتبع طريق الشعر الذي يمجد الوطن عندما كتب قصيدته الرائعة عن «رفيق».

كان يعطي شعره الأرض الخصوبة
والزهور الظل والنخل النماء.
للصبايا الكحل، واللون،
وانفاس الربيع
مثلما اعطى الوطن
قوة تصلب ظل المعتدين.
عندما كنا باشعار رفيق.
نطلق النار .. نقاتل.

ولقد انطلق الشاعر يقاتل تحت راية العروبة والحرية وهو

يعرف ان الطريق شائك ومليء بالصعاب، ولكن متى كان الشعراء المقاتلون يقيمون وزناً لمصاعب الرحلة ومتاعب الطريق صحيح ان «الذات» أو «الانا» كانت تستغرق قسطا كبيرا من تجربة«صدقي عبد القادر» الشعرية، ولكن تلك (الذات) لم تكن تجريدا او انكفاء وجوديا، بقدر ما كانت بحثا عن المجموع والتصاقا بهم.. ذلك ان (التكوين النفسي للوطن خلال مرحلة الكفاح ضد الغزاة الأجانب على اختلاف صورهم واشكالهم اولئك الغزاة الذين كانوا يعملون بدأب مسعور على قطع صلة هذا الوطن بالوطن العربي وبالعالم كله، هذا التكوين هو الذي ساهم والى حد بعيد في التكوين النفسي الخاص للشعر الليبي، وحينما يتكلم الشاعر عن ذاته وعن تأكيدها، وحينما يتكلم عن البحار الذي بلا شراع والمسافر الذي بلا جواز سفر فلقد كان الشاعر يتكلم في الوقت نفسه بلغة الوطن كله الوطن الذي كان لمرحلة طويلة يطلق صيحة جهاده الكبرى في ان يكون له جواز سفر ينطلق به في دروب الوطن العربي ودروب العالم، وان يكون لشاعره ايضا مثل ذلك الجواز هذا الانسان المعاني، وتلك الأرض الشجاعة المقاتلة هي التي تصدى الشعر الليبي المعاصر المعاصر لقضاياها، كما تصدى

لتلك القضايا الشعر الليبي الكلاسيكي الحديث وعلى رأسه (الشارف ورفيق) وبأسلحة الشعر المباشرة في المعركة المباشرة، الأرض والانسان، وعذاب الشاعر من اجل وطن حر وشعب سيد ومن اجل حياة جديدة هي القضايا التي انطلق يغنيها الشعر الليبي المعاصر.. [1] .

وكان (علي صدقي عبد القادر) اول من حمل تلك العذابات وتغنى بها وأول من جسد حلم الثورة نضالا وموقفا وشموخا ورفضا لكل رذائل طغاة العهد الملكي المنهار ومباذلهم.

وديوان (احلام وثورة) الذي صدر سنة 1957 خير دليل على ذلك، اذ تمتلىء قصائده بصرخات في وجه الطغاة وبالادانة لكل المظالم والبشاعات التي تملأ تراب هذا الوطن واولى هذه الصرخات هي قصيدة «اخرج» التي يطالب فيها بازالة القواعد الأجنبية ولا ينسى جنود المستعمر من (انجليز) و«أمريكان» الذين كانوا يدنسون الأرض ويشكلون حماية ودعما للنظام الملكي العميل.

من داري، اخرج من داري.

---

(1) عطر الأرض والناس في الشعر الليبي

اخرج محفوفا بالعار.
يا قاتل ابوي وجاري.
•يا سارق وطني المعطار.
لي عندك يا عادي شاري
خد مني طلقات النار.
في قلبك مهوى الأوزار.
هيا اخرج
هيا ارحل، وانزل اعلامك.
خد نعلك، حرك اقدامك.
واحمل عكازك، ازلامك.
ارفع عن وطني اجرامك.
هيــا اخــرج.

وفي قصيدة «بلا رجعه» التي يهديها الشاعر (الى كل جندي من جنود الاستعمار يعسكر في بلاد العرب منتظرا نهايته، يوم يسحب على وجهه مطرودا) في هذه القصيدة يعود الشاعر الى تأكيد اصراره على وجوب تطهير الوطن من دنس الاستعمار والقواعد الأجنبية ولا ينسى ان يشير الى الخونة الذين باعوا

الوطن والتراب ومكنوا الاستعمار من احتلال الوطن.

عد ايا غاصب من حيث أتيت.
وأجل عنا انك الآن انتهيت.
غير مجد سفح دمع ان بكيت.
طالما في ارض اجدادي بغيت.
وبأوراق الجنيهات اشتريت.
ذمما خانت فاهوت اذ هويت.
نحن هدمنا الذي انت بنيت.
زلزلوه.
انزلوه.
حولوه.
علم المحتل من هذي الديار.
انه يبرق عار وشنار. . .
علم العادي الذي في الشرق جار.
اذ عليه العربي الحر ثار.
وانبرى يلقي به عرض البحار. .

وهكذا تأتي اغلب قصائد الديوان تحريضا مستمرا على

الثورة، والتصاقا حقيقيا وصادقا باحلام وطموحات الجماهير التي تنشد الخلاص وتترقب الفجر،ولعل هذا الاتجاه التحريضي هو الذي جعل القصائد تلهث تحت وطأة الهتاف والمباشرة، وهي صفةمن الصفات البارزة والواضحةفي شعر هذه المرحلة، لأن الشعر كان يؤدي وظيفة تعليمية، تحرض وتنبه وتضع الجماهير امام واقعها وجها لوجه، ولعلنا نستطيع ان نلاحظ بمنتهى الوضوح، ان قصائد (احلام وثورة) قد صيغت فيما يشبه الاراجيز او الأناشيد الوطنية، وهو امر مقصود حتى تسهل عملية حفظ هذه القصائد والتغني بها وقد رددت الجماهير قصائد (علي صدقي عبد القادر) وتغنت بها، ولا زال الجيل الذي عاصر تلك الفترة يحفظ هذه القصائد ويرددها ويستعيد معها ذكريات الانتفاضات الشعبية المستمرة ضد الحكم الملكي العميل وضد القواعد الأجنبية والمفاسد الاجتماعية التي كانت تشوه وجه الوطن والمواطن على انه عندما يلتفت الى موضوعات اخرى، فانه يستعيد وجه الشاعر الذي يقف طويلا امام قصيدته وينحتها على مهل حتى تكتمل صورتها الفنية، والموضوعية، لأنه في هذه الحالةلم يكن يقصد التحريض والدفع والحماس، بقدر ما يهدف الى تصوير حالةنفسيةأو

تجسيد ظاهرة اجتماعية وهنا تنجح الصورة والايماء والايحاء والظلال الفنية في نقل الاحساس بهذه الحالة النفسية او الظاهرة الاجتماعية بشكل يمكنها من التغلغل في اعماق القارىء الذي ينبغي ان يقرأها وينفعل معها ويفكر بها بهدوء وروية، ولن تنجح المباشرة ولا الهتاف في مثل هذه الأمور، لأنها تعطي انطباعا عكسيا وسيئا الى حد كبير، ولعل قصيدة (مجرم ولكن) هي خير نموذج نقدمه في هذا المجال فالقصيدة تحاول ان تقدم لنا الأسباب التي تكمن وراء الجريمة، وتقول لنا بأن الانسان لا يولد مجرما، وانما يندفع الى الاجرام تحت وطأة ظروف اجتماعية تولد في غمار العلاقات الانسانية الظالمة التي تسحق انسانية الانسان وتدفعه الى الجريمة تحت وطأة الفقر والحاجة والظلم الذي يحرمه من حقه في الحياة كجزء من البناء الاجتماعي.

والشاعر عندما يقدم لنا هذه اللحظة الدرامية انما يدين من خلال ذلك كافة صور القهر والتخلف والفقر والمظالم التي كانت احدى المعالم البارزة للعهد الملكي المنهار.

لا تكتبوني سارقا.
ما كنت في يوم لأسرق، سيدي
القاضي المبجل.

لولا العطالة.
داء الجموع الكادحين.
البائسين العاطلين.
لي اسرة سلخت ليال اربعا.
الجوع ينهشها ، ككلب نابح نهم عقور.
وبنوي (غيث) «طارق»
وصغيرتي ليلى العزيزة.
يتضورون وهم جياع.
ويصرخون.
ويسعلون. . ويسعلون
ويسعلون.
حتى يلوح الدمع في تلك المحاجر.
كزجاجة مكسورة.
لمعت شظاياها الصغيرة.
تلقي الشرر.
من اجلها قبضوا علي
وجريرتي تمشي معي.
السجن حتى المحكمة

وتستمر القصيدة في رسم صورة العلاقات الاجتماعية الظالمة ليتحول المجرم شيئا فشيئا الى (ضحية) ولكشف ان الذين يحاكمونه ليسوا بعيدين عن مسرح الجريمة، وبالرغم من أن البناء العضوي المتماسك للقصيدة لايسمح لنا بنقل فقرات منها اذ المفروض أن تقرأ كاملة لكي نتبين نجاح الشاعر في السيطرة على اللحظة الشعرية وتطويعها لخدمة المضمون العام للقصيدة الا ان الفقرة التالية ، تلخص لنا الموقف بدقة وتجسيد حقيقي ، الامر الذي يلزمنا بادراجها والاستشهاد بها.

وخطوت كالغار الجبان.
للمخزن المملوء قمحا، ربه اكتنز الذهب.
ووثائق البيع المحرم.
بالربا.
بالغبن، بالنصب الدميم .
للمخزن المملوء قمحا مرتع السوس الصغير.
يغري، يميت، ويفسد القمح الوفير.
ويظل ينفر في الظلام.
من خلف ابواب الحديد.
ابواب خزان يعطل قفله الصدا القديم.

من طول عهد فيه ظلت مقفلة .
يبقى ليكسب ربه الربح الحرام .
ذاك الذي حبس الطعام بمخزنه .
يرجو المجاعة البلاد.
ليصيب كسبا وافرا.
ويبيعه للجائعين.
يوم المجاعة .
عند اشتداد المسغبة
ان جاءه ذو متربه.

وبالرغم من كل ذلك فان الظلم يأبى الا ان يدافع عن نفسه ويحافظ على متانة جذوره فيكشر عن انيابه في وجه هذا البائس، ويخمد صوته لكي تستمر رحلة المظالم وتستفحل ولا نجد بعد ذلك من يرفع الصوت أو يتحدى .

ويدور طاحون الحياة.
وكان شيئا لم يكن.
لا يوقف الطاحون سجن الابرياء.
ولا انين المريض .
لم تثنه صرخات طفل جائع.

سجنوا اباه.
لم يثنه دمع الامومة.
ويظل طاحون الحياة بنا يدور.
ابدا يدور.

تلك كانت رحلة من رحلات الحلم بالثورة والتبشير بها، التي خاضها الشاعر (علي صدقي عبد القادر) وعندما انبلج فجر الفاتح العظيم كان الشاعر أول من استيقظ ليحضن نسماته الرائعة وليمتلىء فرحة بيوم انتصار الشعب على جلاديه وسالبي حريته وقد سجل ذلك في ديوانه (الكلمة لها عينان) الذي صدر سنة 1970 وكانت كلمته هي كلمة انسان راى حلمه يتحقق امام عينيه..

(الكلمات النيئة كحبات المسبحة تمر بالاصابع العابثة وساعات الحائط تدق في رتابة وعملية بيع الوطن، وحتى كرامة الانسان تتم بالليل في هدوء، وتوزيع الاستمارات المالية، على حملة الطبول والمباخر، ومهرجي الصفوف الخلفية، مستمرة وتلاوة القراءة الاخيرة للتعاويذ المألوفة تتصاعد، لكي يستمر ذلك العهد الملكي كان ذلك يجري في روتينية وقد اخذ الاجنبي

مفتاح «ليبيا» ووضعه تحت وسادته، ثم بتحسسه كعادته كل ليلة، للتأكد وعلق على جدار قاعدته اعلانا، بما يخططه للوطن لعشرات السنين القادمة، ثم نام باماان محترفو الحكم كالقطط السيامية، يحلمون بشجرة تنبت اوراق «البنكنوت» وكراسي الحكم، والقواعد الاجنبية، وفي فجر غرة سبتمبر سنة 1969 كان ثوارالشعب على الطريق بأيديهم دماؤهم، حاملين في اعماقهم ما يشارف رسالة الانبياء وقد اسقطوا المعادلات العقلانية القائلة باستحالة الثورة، ولاول مرة يهرب الموت من مواجهة انسان، عندما رآهم يبحثون عنه، في بطولة ستكون شاهد هذا العصر [1]

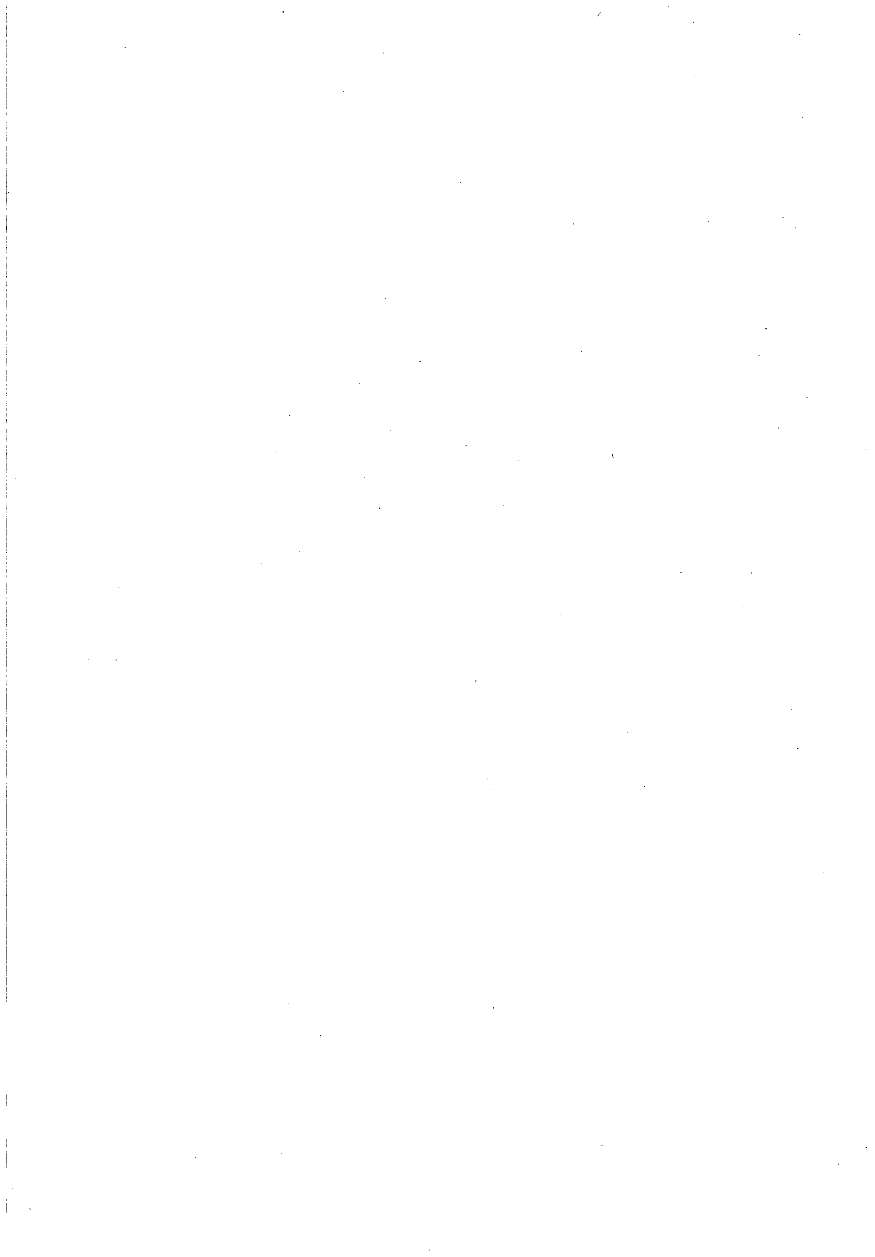
وجاء يوم الثورة العظيم.
لم يبق صخر شامخ في وطني، الاوسار.
في موكب الثوار.
وينهض «التتار» رافعين قبعاتهم
عن اعين محشوة «نابالم، طائرات».

---

(1) الكلمة لها عينان ــ علي صفى عبد القادر ـ دار العودة ـ بيروت 1970

ويرحل التتار.
لم يستطع ربهم «الدولار».
لانهم «تتار».
عادوا الحياة، والشعوب، والسلام.
قد صلبوا حرية التمثال في
«نيويورك» يا للعار.

كلمة أخيرة



مرة قال احد الشعراء «اتعلمون، ان استخراج «الراديوم» وكتابة قصيدة سواء بسواء، يكدح المرء سنة كاملة ليحصل على جرام واحد من المعدن، ومن اجل كلمة واحدة يقلب المرء الف طن من معدن الكلام».

وفي رحلة البحث عن «حلم الثورة في الشعر الليبي الحديث» عانيت مثل هذه المشقة وأنا ألهث وراء مجموعات شعرية لم تطبع وقصائد لم تنشر، ودواوين شعرية طبعت، لكن الحصول على نسخة منها يظل هو المشقة نفسها؟!

لقد استمعت الى كثير من الآراء ووجهات النظر حول هذه المقالات لكن اجدرها بالاهتمام هي تلك الآراء التي طالبت بضرورة تأصيل الحركة الشعرية في هذا الوطن، واخضاعها

للدراسة المنهجية التي تسبر اغوارها وتحدد ملامحها، وتكشف جمالياتها، وتتوصل الى مكامن الابداع فيها وترصد اتجاهاتها وقضاياها، وتتابع منعرجاتها وخطوط سيرها، وتوضح اوجه الخلاف والتباين بينها وبين الحركة الشعرية في الوطن العربي، كما تتلمس مواضع التأثر والاستفادة التي عكستها وانعكست عليها من المدارس الشعرية السائدة في العالم.

وتلك مطالب على اتساعها وصعوبتها، تبدو ضرورية وملحة الى ابعد الحدود، فالشعر الليبي الحديث، ما زال مجالاً بكرا لم يحظ حتى الآن بالدراسة والتمحيص والبحث العلمي المنهجي.

لاننا اذا استثنينا كتاب «رفيق شاعر الوطن» للاستاذ «خليفة التليسي»، الذي جاء دراسة منهجيه جادة حاولت ان تؤصل وتدقق وتستكشف وتمهد الطريق، اذا استثنينا هذا الكتاب فاننا لا نجد امامنا اية جهود أخرى في هذا المجال تستحق ان تذكر.

ولست اعفي نفسي من هذه المسؤولية، ولن احاول ان ابحث عن المبرارت والاسباب، أنني احس بانني أحد

الذين يتحملون مسؤولية هذا التقصير، الذي أرجو ألّا يستمر طويلا، في هذه المرحلة بالذات.

لقد اصبحنا محط انظار العالم، ولم نعد ذلك الشعب الصغير الذي لا يلتفت اليه أحد، لأن هذا الشعب استطاع ان يستقطب الانظار، وهو يفجر ثورة، ليست ككل الثورات، وان يضع انتصارات ليست ككل الانتصارات، وان يرتاد عصر الجماهير وسيادة الشعوب، ويقدم حلولا جذرية لكافة القضايا والمعضلات التي كانت تواجه الفلاسفة والمفكرين منذ بدء الخليقة ولقد توسعت اجتهادات هؤلاء الفلاسفة والمفكرين وتباينت، بأن احدا منهم لم يستطع الوصول الى حل نهائي يستمد نجاحه كونه عصارة فكر الجماهير، وليس اجتهاداً لفرد أو تسلطاً لحزب او هيمنة لقبيلة أو طائفة وهكذا بدأ هذا الشعب الصغير يخوض التجربة ويقدمها للعالم مبشراً بعصر تصبح فيه الجماهير كل شيء ، لا أحد ينوب عنها او يفكر لها، او يحكم باسمها.

ومن هنا فإن تقديم ابداعات هذا الشعب، تصبح ضرورية وملحة ليس في مجال الشعر وحده بل في مجالات القصة والمقالة

والمسرحية، والدراسات النقدية والتاريخية والاجتماعيةوذلك جهد لا يمكن ان يقوم به شخص بعينه، لأن هذا الشخص مهما بذل من جهد فإن جهده سيظل قاصراً ومحدوداً وعليه فإن الجهود في هذا المجال ينبغي ان تكون جماعية ومنظمة ولست انكر وجود مجهودات رائدة في هذا المجال، فقد قدم الاستاذ (التليسي) دراسته عن «رفيق» كما قدم (معجم معارك الجهاد الليبي) بالاضافة الى دراساته وترجماته العديدة لبحوث ودراسات جادة في مجال الادب والتاريخ.

ولا يمكننا ان ننكر الجهد الضخم والموسوعى الذي بذله الاستاذ (علي مصطفى المصراتي» في مجالات متعددة تجمع بين الدراسة التاريخية والنقدية والاجتماعية.

ويمكن اعتبار دراسة الاستاذ «عبد الله القويري» - معنى الكيان- و - كلمات الى وطن - اسهاماً عميقا ورائداً في دراسة المجتمع الليبي.

لكن هذه الجهود مع ذلك تظل قليلة، كما تظل المجالات غير المطروحة كثيرة تحتاج الى الدارس والباحث الذي يتأملها، ويكشف عن خصائصها وقسماتها وملامحها الخاصة والعامة.

ان هذه الدراسة، هي محاولة للسير في هذا الاتجاه، قدر الامكان وارجو ان اكون قد وفقت في اعطاء صورة لحلم الثورة كما تجسد في ابداعات شعراء هذا الوطن ومواقفهم، اما اذا لم اوفق، فإن ما ارجوه ان ارى دراسات أخرى في هذا المجال تستكمل النقص وتصلح الخطأ وتنصف الذين لم انصفهم،. وحسبي انني اجتهدت فجاء هذا الجهد المتواضع، الذي ارجو ان يكون مفيداً للدارس والقارىء

طرابلس 3 ديسمبر 1979



فهرس

صدر من سلسلة كتاب الشعب

لسنة 1388 من وفاة الرسول / 1979 م.

1 ـ تساؤلات على خارطة لا تسقط عليها الأمطار	عذاب الركابي
2 ـ قراءة في هذه التحولات	عبد الله بلال
3 ـ قصة اكتشاف ليبيا في العصر الحديث	نجم الدين الكيب
4 ـ الأزاهير ـ أبوليوس	علي فهمي خشيم
5 ـ الديمقراطية الشعبية	جمعه الفزاني وآخرون
6 ـ دراسات في القصة الليبية القصيرة	سليمان كشلاف
7 ـ السلطة والثورة	تحسين عبد الحي
8 ـ رسائل إلى أبناء الثورة	محمد بشير السوكني
9 ـ في غمار الفاتح العظيم	عمر الحامدي
10 ـ نحن الشعب ـ د. نزيوي	شاكر إبراهيم
11 ـ ثورة الزنج	د. محمد عمارة
12 ـ حكايات شارع الغربي	خليفة حسين مصطفى



الثمن
100 درهم